الشقاء والسعادة

فى ضوء الكتاب والسنة

تأليف

محمد أيمن الشبراوى

دار العقيدة

الطبعة الثانية

٢٠٠٣ م - ١٤٢٣ هـ

رقم الإيداع: ٢١٢٢ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى: 7 - 006 - 347 - 977

دار العقيدة
الإسكندرية : ١٠١ ش الفتح - باكوس ت : ٥٧٤٧٣٢١ / ٠٣ فاكس: ٥٧٤٧٠٧٦ / ٠٣
القاهرة : ٣ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر ٥١٤٣١٧٤ / ٠٠٢٠٢

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾، [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بعد:

فإن كل الخلق على وجه المعمورة المؤمن والكافر، والتقي والفاجر يبحثون عن السعادة، يريدون أن يعيشوا في سعادة، ولا يدرون أين هي السعادة؟! وما هي مصادرها؟! فإذا رأوا صاحب الأموال الكثيرة، والعمارات الشاهقة، والسيارات الفارهة، والمظهر الأنيق الفاخر ظنوه سعيداً بما آتاه الله من أصناف الأموال والمتاع!! ولا يعلمون أنها سعادة وهمية غير حقيقية! والواقع أنه في شقاء وتعاسة، وإن لبس ما شاء، وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، وركب من المراكب ما شاء.

وإذا رأى الناس صاحب المنصب الكبير، والمقعد الوثير، ظنوه سعيداً، فهو يأمر وأمره مطاع، وينهى ونهيه مجاب، ومن خالفه فعليه العقاب، فما دامت له الطاعة في كل ما يأمر به وينهى عنه، فلا جرم أن يكون سعيداً بمنصبه!!.

وهو ظن فاسد، وزعم كاسد، فإن سعادته وهميَّة غير حقيقة.

وإذا رأى الناس صاحب الشهرة الذائعة، والمكانة اللامعة، ومن تسلطت عليه الأضواء حيث ذهب أو جاء، وسافر أو أقام، ظنوا هذا الرجل المشهور سعيداً مسروراً بشهرته !!.

وهو ظن غير راجح، وحدس غير ناجح! فإن سعادة هذا المشهور غير حقيقية بل وهمية! ما دروا أنه تسربل بسربال الشقاء، يعيش في نحاسة، ويموت في تعاسة.

وأغفل الكثير من الناس أو تغافلوا عن الأسباب الحقيقية التي تؤدي بهم إلى السعادة والنجاح، تغافلوها أو تعاموا عنها، ومصدر السعادة والفلاح بين أيديهم وأمام أعينهم، فضلوا السبيل جزاء وفاقاً لإغفالهم أسباب السعادة ومصدرها.

والقلة القليلة اجتهدت في البحث عن السعادة، وعرفت أسبابها ومصدرها، فاتبعت هذه الأسباب، واقتفت آثارها حتى فازوا بمرادهم، وظفروا بحاجتهم.

فما هي حقيقة هذه السعادة، ومصادرها، وأسبابها؟!

ومن هم السعداء الذين يسعدون في دنياهم وأخراهم؟!

ومن هم الأشقياء الذين يشقون في دنياهم وأخراهم؟!

فلا جرم أن يتحقق وعد الله في يوم الميعاد **﴿يَوْمَ يَأْتِ لاَ تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلاَّ بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾** [هود: ١٠٥- ١٠٨].

فمن أهل الجمع الشقي، ومنهم السعيد، كما قال جل شأنه: **﴿فَرِيقٌ فِي الجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾** [الشورى: ٧].

لهذا كله كتبت هذه الرسالة التي أسميتها:[الشقاء والسعادة في ضوء الكتاب والسنة]، ليقف القارئ الكريم على حقيقة السعادة، ومصادرها، وأسبابها، والشقاء وأسبابه.

وقسمتها إلى أربعة مباحث كما يلي:-

المبحث الأول: معنى السعادة لغة وشرعاً.

المبحث الثاني: أسباب وهمية لحصول السعادة.

المبحث الثالث: أسباب الشقاء وعدم السعادة.

المبحث الرابع: أسباب السعادة.

وأتبعت هذه المباحث الأربعة بخاتمة تعتبر زبدة هذه الرسالة وخلاصتها.

الله عز وجل أسأل بأسمائه وصفاته أن يجعل هذه الرسالة، وسائر أعمالي خالصة لوجهه، وأن يجعلها ثقيلة ثقيلة في ميزان حسناتي بكرمه ومنِّه، وسعة فضله، إنه سميع مجيب، كريم جواد وصلِّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

قويسنا – مصر

في يوم الجمعة ١٤٢٢/٦/١٢هـ

الموافق ٢٠٠١/٨/٣١ م

كتبه

أبو يَعْلَى محمد أيمن بن عبد الله الشَّبراوي

غفر الله له وبدل سيئاته حسنات بكرمه ومَنِّه

المبحث الأول: معنى السَّعادة لغة وشرعاً

معنى السعادة **لغة**: قال ابن منظور في «لسان العرب»: «السعادة: خلاف الشَّقاوة، والسَّعد: اليُمْن، وهو نقيض النَّحس». اهـ

ومعناها في **الشرع**: كما عرفها ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٠٦/٨):

«إن سعادة النفس أن تحيا الحياة النافعة فتعبد الله، ومتى لم تحي هذه الحياة كانت ميتة، وكان ما لها من الحياة الطبيعية موجباً لعذابها، فلا هي حية متنعمة بالحياة ولا ميتة مستريحة من العذاب، قال تعالى: **﴿ثُمَّ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَى﴾** [الأعلى: ١٣]، فالجزاء من جنس العمل، لما كان في الدنيا ليس بحي الحياة النافعة، ولا ميتاً عدم الإحساس، كان في الآخرة كذلك» اهـ

وقد أناط الله الفلاح والسعادة بمن زكى نفسه بطاعته سبحانه، ومن طهر نفسه من الأخلاق الدنيئة والرذائل، كما أناط الخيبة والخسران والشقاء بمن ركب المعاصي وترك طاعته سبحانه كما قال جل شأنه: **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾** [الشمس: ٩، ١٠].

فالسعادة والفلاح والنجاح في طاعة الله ورسوله ﷺ، والخيبة والخسران والشقاوة والتعاسة في معصية الله تعالى ورسوله ﷺ، والسعيد من طال عمره وحسن عمله، ورزقه الله تعالى الرجوع إليه والاستقامة على منهجه سبحانه كما قال ﷺ: «**إن من السعادة أن يطول عمر العبد، ويرزقه الله الإنابة**»[١]، وكما ورد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخيركم؟** قالوا: نعم يا رسول الله قال: «**خياركم أطولكم أعماراً، وأحسنكم أعمالاً**»[٢]

---

(١) أخرجه أحمد (٣٣٢/٣) من حديث جابر بن عبد الله مرفوعاً، وهو حديث حسن بطرقه.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢٥٤/١٣، ٢٥٥)، وأحمد (٢٣٥/٢و٤٠٣)، والبزار (١٩٧١) كشف الأستار، وابن حبان (٤٨٤) و (٢٩٨١).

المبحث الثاني:
أسبابٌ وهميَّةٌ لحصول السَّعادة:

١- السَّعادةُ الموهومةُ في المال.

٢- السَّعادةُ الموهومةُ في المنصب والجاه.

٣- السَّعادةُ الموهومةُ في الشُّهرة.

المبحث الثاني: أسبابٌ وهميَّةٌ لحصول السَّعادة:

١- السَّعادةُ الموهومةُ في المال.

الكثير من الناس يظنون أن السعادة والفلاح في المال، فإذا تعبوا في جمع الكثير من الأموال، وحصلوا مرادهم في امتلاك السيارات والعمارات والقصور، وكنـــزوا من الأموال الكثير لم يجدوا السعادة، ولم يعيشوا في سعادة، بل عاشوا في قلق واضطراب خوفاً من ضياع هذه الأموال التي تعبوا في جمعها وإحرازها، ولم يستخدموه في طاعة الله عز وجل وفيما افترضه عليهم، فكان الواجب عليهم أن يشكروا الله عز وجل على هذه النعمة التي آتاها الله إياهم، ويؤدوا حق الله فيها، ولا يبخلوا بها عما أوجبه الله عليهم، فقد أعطاهم الله هذا المال، ومنَّ به عليهم، ليعلم من يطيعه ممن يعصاه كما قال جل شأنه **﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ، فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْراً لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾** [التغابن:١٥-١٧] فلو أنهم اتقوا الله عز وجل، وبذلوا مما رزقهم الله على الأقارب والمساكين وذوي الحاجات، وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليهم، لكان خيراً لهم في الدنيا والآخرة، فإنهم مهما أنفقوا من هذه الأموال، فإن الله يخلفه، ومهما تصدقوا من شيء فعليه جزاؤه فإن من سلم من الشح، فقد أفلح وأنجح، ولا جرم أن له السعادة في الدنيا والآخرة.

أما البخل والشح فإنه ذريعة إلى سفك الدماء واستحلال المحارم كما ورد في الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**واتقوا الشح، فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم**»[1].

(١) أخرجه مسلم.

وإذا بخل صاحب المال بما أتاه الله من فضله، و لم يشكر الله عز وجل عليه، فإن هذا المال يكون سبباً لهلاكه وشقائه، ولعل في قصة قارون عظة وعبرة لكل معتبر كما قال جل شأنه: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٦-٧٧].

فلقد آتاه الله من الأموال الكثير، حتى إن مفاتيح هذه الكنوز لتثقل على الفئام من الناس لكثرتها، ولما كان قارون من الأشرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، وعظه صالحو قومه، فقالوا له: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة، ولا تنس نصيبك مما أباح الله لك في الدنيا من المآكل والمشارب، والملابس، والمساكن، والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً،ولأهلك عليك حقاً، ولزَوْرك عليك حقاً، فآت كل ذي حق حقه،وأحسن إلى خلق الله يا قارون كما أحسن هو إليك، ولا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض، وتسيئ إلى خلق الله، فماذا كانت النتيجة؟! هل استجاب قارون إلى نصيحة قومه؟! لقد كانت إجابة قارون على قومه مفاجأة مذهلة كما قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعاً وَلاَ يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [القصص: ٧٨] قال لهم قارون: لولا رضا الله عني، ومعرفته بفضلي، ما أعطاني هذا، فأنا أستحق هذا المال لمحبة الله لي، فأنا أهل لهذا المال!!، وهكذا يقول كل من قلّ علمه: لولا أنه يستحق ذلك، لما أعطاه الله ما وسع به عليه!!، و لم يكتف قارون بهذا البطر والأشر، وعدم شكر الله قال تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ

الَّذِينَ يُرِيدُونَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ، وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ﴾ [القصص:٧٩-٨٠].

خرج هذا المتكبر وحاشيته في أبهى زينة، وتجمل باهر، فلما رآه من يريد الحياة الدنيا ويميل إلى زخارفها وزينتها، تمنوا أن لو كان لهم مثل الذي أُعطي قارون، وقالوا إنه لذو حظ عظيم وافر من الدنيا، و لم يحسّ هؤلاء الذين يريدون الدنيا أنها سعادة وهمية، وأن هذا المتكبر من الأشقياء، ولا يعيش في سعادة حقيقية بل وهمية، فنصح الصالحون من قال ذلك، وقالوا ويلكم فجزاء الله لعباده الصالحين المؤمنين خير مما ترون.

فكان أن خسف الله به، وبداره، وكنوزه الأرض نتيجة كفره، وطغيانه، وعدم شكره لآلاء الله تعالى كما قال جل شأنه: **﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ المُنتَصِرِينَ، وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾** [القصص:٨١-٨٢].

هكذا نتيجة الكفر بنعم الله، وعدم شكرها، ورجع من تمنى أن يكون له مثل ما أوتي قارون بعد أن خُسف به، وعلموا أن المال ليس دليلاً على رضا الله عن صاحبه، فهو عز وجل يعطي المال للمؤمن والكافر، ويعطي الإيمان والعلم النافع لمن يحب، فالله يعطي ويمنع، ويضيق ويوسع، ويخفض ويرفع، فإنه سبحانه له الحكمة التامة والحجة البالغة، وهكذا مات حتف أنفه هذا الجاحد لنعم ربه و لم يؤدِّ حق الله في هذا المال بعد أن عاش في سعادة غير حقيقية بل وهمية.

ويوم القيامة لا يدفع هذا المال عنه، ولا هذا الجاه الذي أُعطي من عذاب الله وبأسه، فلا معين له ولا مجير، كما قال تعالى: **﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ، هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾** [الحاقة:٢٨-٢٩].

بل وإن هذا المال الذي اكتنـــزه يعذب به في الآخرة، لأنه لم يؤدّ حق الله فيه، كما قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾** [التوبة: ٣٤-٣٥].

وهكذا المال الذي يظنه الكثير من الناس أنه سبب السعادة، وليس كما يظنون، إنها سعادة وهمية غير حقيقية، يعيش صاحب المال في تعاسة وشقاء في جمعه، وإحرازه، والخوف عليه من الضياع والسرقة، ولا يشكر الله عليه، ولا يؤدي حق الله فيه، فيكون سبب شقائه في الدنيا، وعذابه في الآخرة.

٢- السَّعادةُ الموهومةُ في المنصب والجاه.

بعض الناس يظن أن المنصب وما له من جاه من أسباب السعادة!! والتجربة بل والواقع الملموس المحسوس لا يؤيد ذلك، فإن المنصب في كثير من الأحيان سبب لطغيان وتجبر أصحابه، وبطشهم بمن يخالفونهم الذين لا يلبون لهم مطالبهم ومآربهم، ولا يسيرون وفق أهوائهم، ويحتقرون غيرهم، وإن كانوا من أهل الإيمان والعلم، ولله درُّ القائل:

رفعت خسيسته المناصب فازدرى ... أهل الهدى والعلم والإيمان
ليس الترفع بالمناصب رفـــعة ... بالعلم والتقوى عـــلو الشأن

ولعلَّ في قصة فرعون، وهامان، وقارون، وذهاب ملكهم، ومناصبهم، وجاههم على يد موسى عليه السلام، لعل في هذه القصة عظة وعبرة لكل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

أرسل الله عبده ورسوله موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة والأتباع والرعايا من القبط وبني إسرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا

شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، وبعث معه آيات عظام مثل يده، وعصاه، وما أرسل معه من الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، ومن نقص الزروع، والأنفس، والثمرات ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها، والانقياد لها، وكذبوها، وسخروا منها، وضحكوا ممن جاءهم بها كما قال جل شأنه: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ العَالَمِينَ، فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ، وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ، وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ العَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾** [الزخرف: ٤٦-٥٠].

ومع هذا فإن فرعون وملأه ما رجعوا عن غيهم وضلالهم، وجهلهم، وكلما جاءهم آية من هذه الآيات يضرعون إلى موسى عليه السلام، ويتلطفون له في العبارة بقولهم: **﴿أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾** أي العالم، وكان علماء زمانهم هم السحرة، ولم يكن السحر مذموماً عندهم في زمانهم، وفي كل مرة يعدون موسى عليه السلام إن كشف عنهم هذا أن يؤمنوا، ويرسلوا معه بني إسرائيل، وفي كل مرة ينكثون ما عاهدوا عليه، وهذا مثل قوله تعالى: **﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُّجْرِمِينَ، وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٣-١٣٥].

لقد بلغ من كفر فرعون، وعتوه، وعناده أن جمع قومه فنادى فيهم متبجحاً مفتخراً بملك مصر، وتصرفه فيها ، وادَّعى أنه خير من موسى الذي لا يكاد يُفهم - يعني عيي اللسان لوضعه الجمرة على لسانه وهو صغير - وهو حقير ضعيف يقصد موسى عليه السلام، بل هو المهين الحقير، وموسى هو الشريف الرئيس

الصادق، واستخف عقول قومه، فدعاهم إلى الضلال فاستجابوا له كما قال جل شأنه: ﴿وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلاَ تُبْصِرُونَ، أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ، فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ، فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥١-٥٤].

وبلغ من كفر فرعون، وطغيانه، وافترائه في دعواه الإلهية لنفسه القبيحة- لعنه الله تعالى- كما قال جل شأنه: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ، وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لاَ يُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٣٨-٣٩].

استخف فرعون قومه بدعوته إياهم إلى الاعتراف له بالإلهية، فأجابوه إلى ذلك، بقلة عقولهم، وسخافة أذهانهم، ولهذا قال:﴿يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص:٣٨].

وقال تعالى إخباراً عنه: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى، فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى، فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ [النازعات: ٢٣-٢٦].

يعني أنه جمع قومه ونادى فيهم بصوته العالي مصرحاً لهم بذلك، فأجابوه سامعين له مطيعين، ولهذا انتقم الله منه فجعله عبرة لغيره في الدنيا والآخرة حتى إنه واجه موسى عليه السلام بذلك فقال: ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهاً غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ [القصص: ٣٨].

يعني أنه أمر وزيره هامان، مشير دولته أن يوقد له على الطين يعني يتخذ له آجراً لبناء الصرح وهو القصر العالي المنيف الرفيع كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحاً لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ، أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِباً وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧].

فماذا كانت نتيجة هذا الكفر والعناد والتجبر؟! لقد أخذه الله تعالى أخذ عزيز مقتدر، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ، وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنصَرُونَ، وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٠-٤٢].

فهذه المناصب التي كانت لأصحابها، فرعون، وهامان، وقارون، وأتباعهم جرَّت على أصحابها الويل والثبور والعذاب في الدنيا والآخرة، فهل المناصب إلاَّ سعادة وهمية غير حقيقية فما تلبث أن تزول هذه المناصب ليجلس فيها آخرون!

ومن تأمل في العصر الحديث أحوال من ساسوا البلاد والعباد، وما آلت إليه أحوالهم بعد زوال ملكهم ومناصبهم، من ذل بعد عز، وهوان بعد كرامة ومكانة، وضعف وتشرد وضياع بعد قوة ومنعة، يعلم أن المنصب ليس سبباً حقيقياً للسعادة، بل هو من الأسباب الموهومة الزائفة للسعادة.

٣- السَّعادةُ الموهومةُ في الشُّهرة.

بعض الناس يظن أن السعادة في الشهرة، وقد أخطأوا في ظنهم، وحافوا حيفاً في فهمهم، إذْ أنَّ الشهرة تكون في غالب الأحيان سبب الشقاء والتعاسة، وتجلب المذمة والنحاسة، ومن كان له اطلاع على الجرائد العامة، والمجلات المصورة يعلم علم اليقين، بل عين اليقين مدى الانحلال الأخلاقي الذي يعيش فيه أهل الفن كما يقولون، فممارسة الرذيلة شعارهم كما تصورها إعلاناتهم التي تعلق على جدران

الشوارع دون خوف من الله، والناظر إلى صورهم في الجرائد والمجلات والتلفاز يرى كيف يدعون الكبار والصغار إلى الانحراف والبغاء، فلا جرم أن يعيش هؤلاء في تعاسة وشقاء المعاصي، لانحرافهم عن منهج الله، ودعوتهم الناس إلى الرذائل والمنكرات، ولا جرم أن يكون نهاية هؤلاء الذين سموهم أهل الفن - زعموا - نهايات مأساوية، فمنهم من نهايته وهو يتناول المخدرات، وهو متلبس بالزنا، ومنهم من ينتحر، ويموت كافراً يائساً من روح الله، ومنهم من يموت بأمراض فتاكة خطيرة، فأيُّ سعادة يجنيها هؤلاء؟! إنه الشقاء يعيشون فيه، ويموتون عليه، يعيشون في غضب الله، ولعنته، ولهم في الآخرة العذاب الشديد لدعوتهم الناس بأفعالهم القبيحة إلى ممارسة الرذيلة والفجور.

وقد يرى الكثير من الناس أن السعادة في الشهرة التي يعيش فيها أهل الرياضة، ولو أبصروا أحوالهم، وتتبعوا أخبارهم لعاينوا الشقاء والتعاسة من كل جوانبها تكتنفهم، فالإصابات والكسور والجروح يصابون بها في غالب مبارياتهم، وإذا ما انهزموا في بعض مبارياتهم غضب عليهم جمهورهم، وأثنوا عليهم شرًّا، والمتتبع لأخبارهم يعلم يقيناً أنهم ضائعون بل مضيعين علمياً، فالكثير منهم لا يكمل دراسته لانشغالهم بالمباريات، كما أن المتتبع لمبارياتهم والمشاهد لها يعلم الكثير من الانحرافات الأخلاقية التي يمارسونها بالألفاظ والعبارات والإشارات جهاراً أمام جماهيرهم في أماكن هذه المباريات، وفي التلفاز، وتتناقلها الجرائد، والصحف السيارة، مما يجلب لهم السمعة السيئة، وغضب جماهيرهم عليهم، فيعيشون في قلق واضطراب نفسي، وإحساس بالشقاء والتعاسة لما أصابهم من جروح وكسور متقاربة، وانهزامهم في مبارياتهم، وضياع مستقبلهم الدراسي، فأي سعادة يعيش فيها هؤلاء؟! إنها الوهم الذي يظنه الكثير من الناس، ولو تدبر هؤلاء أحوالهم لعلموا أنهم يعيشون في شقاء وتعاسة، وليست بسعادة.

المبحث الثالث:
أسبابُ الشَّقاءِ، وعدم السَّعادة

١- الكفر بالله.

٢- عدم الرضا بالقضاء والقدر.

٣- التطلع إلى من فضل عليه في الدنيا.

٤- الحسـد.

٥- ترك الصلاة.

٦- عدم اجتناب المعاصي.

٧- عدم ذكر الله.

٨- صحبة الأشرار.

٩- المرأة السوء، والجار السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء.



المبحث الثالث: أسبابُ الشَّقاءِ، وعدم السَّعادة

للشقاء أسباب وأمارات وضحها الكتاب الكريم، والسنة المشرفة، فمن اقترف هذه الأسباب، وتمسك بأماراتها وعلاماتها، فقد جنى على نفسه، وساسها إلى دار الخسران والبوار، ومن تجنب هذه الأسباب واتقاها، وجاهد نفسه على البعد عنها، وعدم اقترافها، فقد نجّى نفسه من الهلاك والثبور، وحقق لها السعادة.

ومعرفة الشر وأسبابه، ودوافعه، وأماراته من الأهمية بمكان كما ورد عن حذيفة بن اليمان أنه قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشرِّ مخافة أن يُدْرِكني»(1) ووقع في رواية أخرى للبخاري عن حذيفة رضى الله عنه قال: «تعلم أصحابي الخير، وتعلّمتُ الشَّرَّ»(2).

ولله دَرُّ القائل:-

عرفتُ الشَّرَّ لا للشَّرِّ ولكن لتوقِّيه ومن لم يعرف الشَّرَّ من الخير يقع فيه

لهذا فإننا بتوفيق الله، وحوله وقوته، لا بحولي وقوتي نُجلّي أسباب هذا الشقاء، ودوافعه، وأماراته، حتى يجتنبها الناس، ويحققوا لأنفسهم السعادة في الدنيا والآخرة، فنقول وبالله التوفيق والسداد، والهدى والرشاد أن من أسباب الشقاء:-

١- الكفر بالله:

لا جرم أن الكفار هم أشقى الناس، وإن ملكوا الدنيا، فإنهم لا يحسُّون بالاطمئنان والراحة، كما يحسُّ بها أهل الإيمان، فحياتهم كلها قلق وشقاء، وما ذلك إلا لعدم إيمانهم بالله ورسله، فهم يعيشون في غضب الله وفي سخطه؛ لأنهم استمروا على كفرهم وضلالهم، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة،

(1) أخرجه البخاري (٣٦٠٦) و(٧٠٨٤).
(2) رواه البخاري (٣٦٠٧).

فخسروا في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلاَ يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلاَّ مَقْتاً وَلاَ يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلاَّ خَسَاراً﴾ [فاطر:٣٩].

وحالهم هذا بخلاف المؤمنين، فإنهم كلما طال عمر أحدهم، وحسن عمله، ارتفعت درجته ومنـــزلته في الجنة، وزاد أجره، وأحبه خالقه، وبارئه رب العالمين، فسعد أهل الإيمان في الدنيا والآخرة.

وقد أناط الله عدم الفلاح في الدنيا والآخرة بالكافرين كما قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلآ أَن مَّنَّ اللهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لا يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾ [القصص:٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

ولا جرم أن الكافرين يعاقبهم الله بالخزي في الدنيا والآخرة كما يعيشون في لعنة الله تعالى كما قال جلَّ شأنه: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الكَافِرِينَ﴾ [التوبة:٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾ [الأحزاب:٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، فلا جرم أن يعيش الكافرون في تعاسة وشقاء وخزي، لأن الله قد غضب عليهم، ولعنهم نتيجة كفرهم به سبحانه، وبرسله صلوات الله عليهم.

٢- عدم الرضا بالقضاء والقدر:

من تمام حكمة الله تعالى أن جعل عباده ما بين غني وفقير، وجليل وحقير، وصغير وكبير، ومستأجر وأجير، ذلك تقدير العليم الخبير، فمن العباد من لم يصلحه إلا الفقر، ولو أغناه لفسد عليه دينه، ومنهم من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقره

لفسد عليه دينه، وكذلك الصحة والسقم،وغير ذلك، فكان لزاماً على كل مسلم أن يكون راضياً مطمئناً غير ساخط على قضاء الله وقدره، فإن الله جل شأنه أشفق من الوالدة على ولدها.

ومن الناس من لا يرضى بقضاء الله وقدره، فلا يحسّ بالسعادة، تتقطع نفسه حسرات على الدنيا، فلا جرم أن هذا المُتسخط غير الراضي بقضاء الله وقدره قد باء بسخط الله كما ورد في الحديث: «**إذا أحبَّ الله قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط**»[١].

فالساخط على ما قدَّره الله غير راضٍ بما قسمه الله له، أو لغيره، لا تطمئن نفسه، ولا يهدأ باله، متوتر دائماً، لا يحسُّ بالراحة والسعادة لأنه لم يُشرب قلبه الرضا بقضاء الله الذي يفرز السعادة، والراحة، وهدوء البال، وإن كان رزقه كفافاً، وعلى النقيض تجد المؤمن سعيداً، لرضاه بقضاء الله وقدره، يحمده سبحانه في السراء والضراء كما قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له**»[٢].

فالمؤمن في خير دائماً، وسعادة دائمة،ففي السَّرَّاء يشكر الله على نعمه فيزيده بهذا الشكر كما قال تعالى: ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم: ٧]، فكان شكره على السراء خيراً له في الدنيا وذخراً له يدخره الله له في الآخرة.

وفي الضراء يصبر على ما ابتلاه الله به من مصائب ومحن، فكان خيراً له في الدارين الدنيا والآخرة كما ورد بالحديث، فيعوضه الله خيراً جزاءً وفاقاً على شكره وحمده، وصبره، وفي الآخرة يوفيه الله بالجزاء الأوفى والمنـــزلة الأسنى.

---

(١) أخرجه الترمذي، وابن ماجه، وغيرهما من حديث أنس مرفوعاً بإسناد حسن

(٢) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب مرفوعاً.

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يفرحون بالبلاء كما يفرح الناس بالرخاء؛ لينالوا مثوبة الله تعالى ورضاه، فيفوزوا بخيري الدنيا والآخرة، فقد ورد عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: «دخلت على النبي ﷺ وهو يُوعَكُ، فوضعتُ يدي عليه، فوجـــدت حَرَّهُ بين يديَّ فوق اللِّحاف، فقـــلت: يا رسول الله! ما أَشَدَّها عليكَ! قال: **إنا كذلك، يُضَعَّفُ لنا البلاءُ، ويُضَعَّفُ لنا الأَجْرُ**. قلت: يا رسول الله! أي الناس أشد بلاء؟ قال: **الأنبياء**، قلت: يا رسول الله ثم من؟ قال: **ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلى بالفقر، حتى ما يجدُ أحدُهم إلا العباءة التي يُحَوِّيها، وإن كان أحدُهم ليفرحُ بالبلاء كما يفرحُ أحدُكم بالرَّخاء**»[1].

فهكذا كان الصحابة يصبرون على البلاء والشدائد، لينالوا رضا الله، ففازوا بالسعادة في الدارين، بخلاف غير المؤمنين الذين يتسخطون على قضاء الله، فاستحقوا السخط وغضب الله، فشقوا في الدنيا وفي الآخرة كما ورد بالحديث الذي ذكرناه: «**فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فعليه السخط**».

٣- التطلع إلى من فضل عليه في الدنيا:

الكثير من الناس ينظرون في أمور الدنيا إلى من فُضِّل عليهم فيها في المال، وسائر متاع الدنيا، فيحسُّون بالحسرة، وعدم الرضا؛ لأنهم لم يملكوا ما حصل غيرهم عليه، فلا جرم أن يعيش هؤلاء في شقاء، وإحساس بالتعاسة، لأنهم لم يملكوا في الدنيا ما ملكه غيرهم، ولو أنهم امتثلوا ما وصى به رسول الله ﷺ، لأحسوا

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٤)، وابن سعد (٢/٢٠٨)، والحاكم (٤/٣٠٧) عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً. وقال الحاكم: (صحيح على شرط مسلم) ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.
والوَعْكُ: الحمَّى، وقيل ألمُها، وقد وعكه المرض وعكاً، وَوُعِكَ فهو مَوعوك.
وقوله: (يُحوِّيها) من التحوية وهي أن يدير كساء حول سنام البعير، ثم يركبه، والاسم الحوِّية، والجمع الحوايا.

بالسعادة، وراحة البال، والطمأنينة، فقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**»(١).

ووقع في رواية عند مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه في المال، والخَلْق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضِّل عليه**»(٢).

فلأن هؤلاء لم يطيعوا ما أمر به رسول الله ﷺ في النظر إلى من هو أسفل منهم في أمور الدنيا، فقد أحسُّوا بالشقاء، والحسرة، واستصغروا ما عندهم من نعم أعطاها الله لهم، ولم يشكروه سبحانه عليها، وربما جحدوها، فيعاقبهم الله بسلبها.

٤- الحسد:

وهو تمني زوال نعمة المحسود إلى الحاسد، وهو من الصفات المذمومة التي تملك العبد، والحاسد لا تهدأ نفسه، ولا يحسُّ بالاطمئنان والراحة، فهو غير سعيد؛ لأنه يعادي نعم الله على عباده، ويسخط على إنعام الله على خلقه، ويحب زوال هذه النعم ممن نالها، فلا جرم أنه قد أساء الأدب مع الله تعالى بحسده، وبتمني زوال النعم من غيره، فصدق فيه وفي أمثاله قول الشاعر:

ألا قل لمن كان لي حاسداً ... أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه ... لأنك لم ترض ما قد وهب
فجازاك ربي بأن زادني ... وَسَدَّ عليك وجوه الطلب

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٣) (٩)، والترمذي (٢٥١٣)، وابن ماجه (٤١٤٢)، وابن حبان (٧١٣)، وأحمد (٢/٢٥٤و ٤٨٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) رواه مسلم برقم (٢٩٦٣) (٨).

فلا جرم أن يعاقبه الله عز وجل على سخطه على ما قدره الله، وحسده لغيره على ما آتاه من فضله، فعوقب بالحرمان من هذه النعم، ولا جرم أن يحسَّ هذا المتسخط الحاسد بالتعاسة، وعدم السعادة في حياته، لأنه لم يتبع منهج الله بحبه لأخيه ما يحبه لنفسه كما ورد في الحديث الصحيح: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يُحبُّ لنفسه**»[1].

وحقيق بالذكر أن الحسد نتيجة من نتائج الحقد، وثمرة من ثمراته المرة المترتبة عليه، ولا ريب أن من يحقد على إنسان يتمنى زوال نعمته، ويغتابه، وينم عليه،ويعتدي على عرضه، ويشمت فيما أصابه من محن وابتلاءات.

٥- ترك الصلاة:

لا شك أن تارك الصلاة مطيع للشيطان، مخالف للرحمن، استحوذ عليه الشيطان، فوصَّله إلى ترك الصلاة، ثم استدرجه إلى الكذب، والخيانة، والغدر، وإلى أنواع الشرور كلها، ولو أنه حافظ على صلاته لما اقترف الفواحش والمنكرات، فترك الصلاة ذريعة إلى اقترافها كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ**﴾ [العنكبوت:٤٥].

فتارك الصلاة يُحسُّ بالشقاء والتعاسة، لأنه لم يعتصم بالله، ولو أنه صلى، لحفظه الله من الشيطان بسبب أدائه للصلاة، فلا يقع تحت غواية الشيطان، فيفعل المنكرات والآثام، فتراه يجزع ولا يثبت عند حصول المحن والمصائب لأنه لا يصلي، ولو أنه حافظ على صلاته وأدَّاها دائماً، لاحتمل الشدائد والمحن والابتلاءات، ولما أصابه الجزع والهلع كما أخبر الله تعالى: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً، إِلاَّ الْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ [المعارج: ١٩-٢٣]، فلا جرم أن يعيش تارك الصلاة في تعاسة وشقاء؛ لأنه

(١) أخرجه البخاري، ومسلم من حديث أنس مرفوعاً.

استسلم للشيطان، واتبع خطواته حتى ترك الصلاة، ثم اجتالته الشياطين حتى ارتكب الفواحش والمنكرات، فلا تراه مطمئن النفس سعيداً، بل تراه دَوْماً قلقاً مضطرباً، لا يشعر بالاطمئنان والراحة والسعادة، لأنه ابتعد عن منهج الله، فضيع الصلاة، بل تركها بالكلية حتى استحوذ عليه الشيطان في كلّ أفعاله وأقواله، فلا جرم أن تكون التعاسة والشقاء وعدم السعادة حليفاً له في كلّ أعماله.

٦- عدم اجتناب المعاصي:

فإن الذنوب والمعاصي تملك العبد، وتبعده عن الله، وتجعله شقياً غير سعيد، وللذنوب والمعاصي آثار خطيرة تضرَّ بقلبه وبدنه، فتجلب له الشقاء والتعاسة، قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «للمعاصي من الآثار المُضرة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة ما لا يعلمها إلا الله»:

١- فمنها أنها مددٌ من الإنسان يُمدُّ به عدوَّه عليه، وجيشٌ يقويه به على حربه.

٢- ومن عقوبات المعاصي أنها تخونُ العبد أحوج ما يكون إلى نفسه.

٣- ومنها أنها تُجرِّئُ العبد على ما لم يكن يجترئ عليه.

٤- ومنها الطبع على القلب إذا تكاثرت حتى يصير صاحب الذنب من الغافلين، كما قال بعض السلف في قوله تعالى: **﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾** قال: هو الذنب بعد الذنب وقال: هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب.

وأصل هذا أن القلب يصدأ من المعصية، فإذا زادت غلب الصدأ حتى يصير راناً، ثم يغلبُ حتى يصير طبعاً وقَفْلاً وخَتْماً، فيصير القلبُ في غشاوةٍ وغلاف.

٥- ومن عقوبات المعاصي إفساد العقل، فإن العقل نور، والمعصية تطفئُ نور العقل.

٦- ومنها أن العبد لا يزال يرتكب الذنوب حتى تهون عليه، وتصْغرُ في قلبه.

٧- ومنها أن ينسلخ من القلب استقباحُها، فتصير له عادة.

٨- ومنها أن المعاصي تزرعُ أمثالها، ويُولّد بعضها بعضاً.

٩- ومن عقوبات المعاصي ظُلمة يجدُها في قلبه، يُحسُّ بها كما يُحسُّ بظلمة الليل.

١٠-ومنها أن المعاصي تُوهِنُ القلب والبدن، أمَّا وَهَنُها للقلب فأمرٌ ظاهر، بل لا تزالُ تُوهنُهُ حتى تزيل حياته بالكلية، وأمَّا وهنها للبدن، فإن المؤمن قوتُهُ في قلبه، وكلما قوي قلبُهُ قوي بدنه.

١١-ومنها أنّ المعاصي تمحقُ العُمر إذْ أنّ المعاصي كلها شرور.

١٢-ومنها شماتةُ الأعداء؛ فإن المعاصي كلّها أضرار في الدين والدنيا، وهذا ما يُفرح العدُوَّ، ويُسيءُ الصّديق.

١٣-ومنها تعسير أموره؛ فلايتوجَّهُ لأمر إلا يجدُهُ مغلقاً دونه أَوْ متَعسِّراً عليه.

١٤-ومنها الوَحْشةُ التي تحصُل بينه وبين الناس، ولاسيما أهل الخير.

١٥-ومنها حرمانُ دعوة الرسول ﷺ، ودعوة الملائكة للذين تابوا.

١٦-ومنها أنّ الذنوب تُدخل العبد تحت لعنة رسول الله ﷺ.

١٧-ومنها أنها تُطفئُ نار الغيرة من القلب.

١٨-ومنها ذهاب الحياء الذي هو مادةُ حياة القلب.

١٩-ومنها أنها تُضعفُ في القلب تعظيم الرب، وتُضعفُ وقارهُ في قلب العبد.

٢٠-ومنها أنها تستدعي نسيان الله لعبده وتركه.

٢١-ومنها أنها تُخرجُ العبد من دائرة الإحسان، وتمنعُه ثواب المحسنين.

٢٢-ومنها أنها تُضْعفُ سير القلب إلى الله والدار الآخرة.

٢٣- ومنها أنها تصرفُ القلب عن صحَّته واستقامته.

٢٤- ومنها أنها تُعمي بصيرة القلب، وتطمسُ نُورَهُ، وتَسُدُّ طرق العلم.

٢٥- ومنها أنها تُصغِّرُ النفس، وتَحْقرُها وتَقْمَعُها.

٢٦- ومنها أن العاصي في أَسْرِ شيطانه، وَسِجْنِ شهواته.

٢٧- ومنها سقوط الجاه والمنـــزلة، والكرامة عند الله، وعند خلقه.

٢٨- ومنها أنها توجب القطيعة بين العبد وبين ربه.

٢٩- ومنها أنها تسْلُبُ صاحبها أسماء المدح والشرف.

٣٠- ومنها أنها تجعل صاحبها من السَّفلة.

٣١- ومنها أنها تحرم العبد الرزق، كما ورد في الحديث الذي رواه ثوبان مرفوعاً: «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[1].

وآثار المعاصي خطيرة، فهي تُشقي صاحبها في الدنيا، وتشقيه في الآخرة، فهي سبب التعاسة وعدم السعادة في الدارين.

٧- عدم ذكر الله:

لا جرم أن عدم ذكر الله يولد قسوة القلب، وقاسي القلب حقيق بوعيد الله عز وجل له في قوله تعالى: **﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾** [الزمر: ٢٢].

وإذا كان ذكر الله عز وجل يسبب للقلب الاطمئنان، والراحة، والسعادة كما قال تعالى: **﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾** [الرعد:٢٨].

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٤٤١-٤٤٢)، وأحمد (٥/٢٧٧ و٢٨٠ و٢٨٢)، وابن ماجه (٩٠) وغيرهم.

فإن الذي لا يذكر الله عز وجل لا ريب أنه مضطرب القلب، لا يُحسُّ بالراحة، والاطمئنان أو السعادة، بل هو خائف مستوحش، فالذي لا يذكر ربه لا شك أنه يسيطر عليه الشيطان، ويستحوذ عليه في كل أحواله، قلبه مهموم مغموم، يكسو وجهه ظلمة، ويغطي قلبه الران، ولا تنـزل السكينة عليه، لأنه لا يذكر الله، فهو كالميت لأنه لا يذكر ربه كما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**مثل الذي يذكر ربه، والذي لا يذكره مثل الحي والميت**».

فلا جرم أن يعيش الذي لا يذكر ربه في تعاسة وشقاء.

٨- صحبة الأشرار:

فإن الصحبة لها أثر كبير على حياة الفرد، فهي سبب من أسباب سعادته أو شقائه، فقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «**مثل الجليس الصالح، ومثل الجليس السوء، كحامل المسك، ونافخ الكير، فحامل المسك إمَّا أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إمَّا أن يحرق ثيابك، وإمَّا أن تجد منه ريحاً خبيثة**»[١].

ففي هذا الحديث النهي عن مجالسة من يُتأذى بمجالسته في الدين والدنيا، والترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته فيها، فلا جرم أن صحبة الأشرار الأشقياء تقود إلى التعاسة، لهذا فقد ندب النبي ﷺ إلى صحبة المؤمنين كما ورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠١) و(٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨)، والقضاعي (١٣٨٠)، والبغوي (٣٤٨٣) من حديث أبي موسى مرفوعاً.

(٢) أخرجه الطيالسي (٢٢١٣)، وأحمد (٣/٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، والدارمي (٢/١٠٣)، وغيرهم عن أبي سعيد الخدري.

فلا خير يرتجى في صحبة غير المؤمنين، بل ولا ينبغي أن يدخل غير المؤمن إلى بيوت المؤمنين الأخيار، فمؤاكلة الأشرار ذريعة إلى محبتهم وألفتهم، وصحبة غير المؤمن تجلب الشقاء بلا شك، فيستحب أن يتخير المسلم جلساءه وأصحابه، فإنما يعرف المرء بصاحبه، فإن كان صاحبه خيِّراً ديِّناً، كان كذلك، وإن كان شقيّاً شرِّيراً كان على نفس سلوك خليله وجليسه، فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل**»[1].

فإخوان السوء يخونون من رافقهم وصاحبهم، بل ويفسدون من صادقهم، فإن قربهم أعدى من الجرب، قال أبو العلاء:

ولا تجلس إلى أهـــل الدنايـــا ... فإن خــلائق السفهـــاء تعدي

ولله دَرُّ القائل:-

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكـــل قرين بالمُقـــارن يقتدي

ولله دَرُّ القائل:-

فلا تصحب أخـــا الجهـــل ... وإيـــــاك وإيـــــــاه

فكـــم مـــن جـــاهـــل أردى ... حليـــمـــاً حيـــن آخـــاه

يُقـــاسُ الـــمـــرءُ بالمـــرء ... إذا هـــو مـــاشـــاه

ولا جرم أن يندم من صاحب المضلين الأشرار يوم القيامة ولات ساعة مندم، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً**﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٠٣/٢ و٣٣٤)، وأبو داود (٤٨٣٣) والترمذي (٢٣٧٨)، وقال حديث حسن غريب.

فالصحبة الصالحة تؤدي بالإنسان إلى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، والصحبة الطالحة الشريرة تؤدى بصاحبها إلى الشقاء والتعاسة والخسران في الدنيا والآخرة.

٩- المرأةُ السُّوءُ، والجار السُّوءُ، والمسكنُ الضَّيِّقُ، والمركبُ السُّوء:

ورد في الحديث عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من السعادة المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربع من الشقاوة: الجار السوء، والمرأة السوء، والمسكن الضيق، والمركب السوء**»[١].

وورد عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً بلفظ: «**ثلاث من السعادة، وثلاث من الشقاوة، فمن السعادة المرأة تراها تعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسك ومالك، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق، ومن الشقاوة المرأة تراها فتسؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفاً، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركبها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق**»[٢].

فثبت بهذا الحديث أن هذه الأربع من الشقاوة، وهي المرأة السيئة السليطة اللسان غير المأمونة على نفسها ومال زوجها، والدابة غير السريعة التي تتعب صاحبها وترهقه، والدار تكون ضيقة غير واسعة، والجار السيئ غير المأمون، فالعاقل اللبيب يفر من هذه الأربع التي تحصل بها الشقاوة، والأحمق الشقي لا يرعوي من اتباع الباطل، والمُكث عليه، والاستمرار في الغي والضلال.

---

(١) أخرجه أحمد (١/١٦٨)، والبزار (١٤١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/٣٨٨) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً. وإسناده صحيح على شرط البخاري.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/١٦٢) بإسناد حسن من حديث سعد ابن أبي وقاص.

المبحث الرابـع:

أسبـاب السَّـعـادة

١- الإيمان بالله ورسله.

٢- الرضا بقضاء الله وقدره.

٣- القناعة.

٤- المحافظة على الصلاة.

٥- مراقبة الله تعالى.

٦- تقوى الله.

٧- الجهاد في سبيل الله.

٨- الإنفاق في سبيل الله.

٩- ذكر الله.

١٠- الاستغفار والتوبة من المعاصي والآثام.

١١- العلم الشرعي.

١٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٣- فعل الخيرات.

١٤- شكر الله على نعمه وآلائه.

١٥- عدم النظر إلى من فوقه في الدنيا.

١٦- صحبة الأخيار الصالحين.

١٧- المرأة الصالحة، والبيت الواسع، والمركب الهنيء، والجار الصالح.

١٨- عُلُو الهمَّة في أمور الدين والدنيا، والترفع عن السباب، والصبر على تحقيق الهدف.

١٩- ترك الأماني، والإقبال على العمل الجاد.

٢٠- عدم الانكباب على الشهوات والملذات.



المبحث الرابع: أسباب السَّعادة

للسعادة والفلاح أسبابٌ وأدواتُ وضَّحها الكتاب الكريم، وبيَّنتها السُّنَّةُ المشرفة أيّما بيان حتى صارت هذه الأسباب واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار لكل من تدبر آيات الكتاب، وأحاديث سيد المرسلين ﷺ، فمن عرف هذه الأسباب، وعمل بها، والتزمها في حياته، حقق لنفسه السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة، ومن لم يعمل بها أورد نفسه المهالك، وتسبب في غضب الله عليه، قال جل شأنه: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا، فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾ [الشمس: ٧-١٠].

فذكر الله عز وجل منهج السعداء، ووضحه رسول الله ﷺ في السنة المشرفة، ونحن بعون الله وتوفيقه، وحول الله وقوته، لا بحولي وقوتي نبين للناس منهج السعداء، وأسباب هذه السعادة وأماراتها، ليعرفها الناس، فيعملوا بها، ويحققوا لأنفسهم السعادة في الدنيا والآخرة، وتكون لهم النجاة من النار ولهيبها، نسأل الله العافية، فنقول وبالله التوفيق والسداد أن من أسباب السعادة:

١ – الإيمان بالله ورسله:

لا جرم أن الإيمان بالله ورسله يجلب السَّعادة، وراحة واطمئنان القلب كما يجلب الفلاح في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ، وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة: ٣-٥]

والفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة حليفان لكلِّ من آمن برسول الله ﷺ، وكلِّ من عظمه ووقره، واتبع القرآن والوحي الذي جاء به كما قال تعالى:

﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

فمن أحسن باتباع الشريعة التي جاء بها محمد ﷺ، فأقام الصلاة المفروضة بحدودها، وأوقاتها، وما يتبعها من نوافل راتبة وغير راتبة، وآتوا الزكاة المفروضة عليهم إلى مستحقيها، وأيقنوا بالجزاء في الدار الآخرة، فرغبوا إلى الله في ثواب ذلك، لم يراءوا به، ولا أرادوا جزاءً من الناس ولا شكوراً، فمن فعل ذلك كذلك، فهو على بصيرة وبينة ومنهج واضح جلي، ولا جرم أن له الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ، أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [لقمان: ٤-٥].

وقد أناط الله عز وجل الفلاح بمن أقام الصلاة، وأدَّاها بخشوع وخضوع، ومن آتى الزكاة، وأقام الصفات التي وضحتها الآيات الكريمات كما قال جل شأنه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ العَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُوْلَئِكَ هُمُ الوَارِثُونَ، الَّذِينَ يَرِثُونَ الفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١-١١].

فمن أقام هذه الصفات فلا جرم أن يفوز بالفردوس الأعلى، وكان من المفلحين السعداء في الدنيا حيث استجاب لأمر الله تعالى ورسوله ﷺ.

وقد أثنى الله على المؤمنين والمجاهدين مع رسول الله ﷺ، فبين سبحانه وتعالى أن لهم الخيرات في الدار الآخرة في جنات الفردوس، والدرجات العلى، ولهم الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة كما قال جل شأنه: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ

آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٨-٨٩].

فلا جرم أن يكون الفلاح والسعادة والفوز العظيم في طاعة الله ورسوله ﷺ في اتباع كل الأوامر، واجتناب كل النواهي كما قال جل شأنه: **﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾** [الأحزاب: ٧١].

وحقيق بالذكر أنه: «**لا يدخل الجنة إلا مؤمن**»[١].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولا يدخل الجنة أحدٌ في قلبه مثقال حبة خردل من كبرياء**»[٢].

كما لا يبقى أحدٌ في النار في قلبه مثقال ذرة من إيمان، فكما ورد في حديث الشفاعة الطويل من حديث أنس مرفوعاً: «**فأقول: يا رب أمتي فيقال انطلق، فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان**»[٣].

فالإيمان والسعادة قرينان لا ينفصلان.

٢- الرضا بقضاء الله وقدره:

أوجب الله عز وجل على عباده الرضا بقضائه سبحانه في السراء والضراء، وجعله ركناً من أركان الإيمان، فمتى رضي العبد بقضائه سبحانه خالط الإيمان بشاشة القلب، وأصبحت النفس مطمئنة راضية وادعة، فمن رسَّخ قدمه في الرضا

---

(١) أخرجه مسلم (١١٤١)، وأحمد (٣/٤٦٠) والبيهقي (٤/٢٩٧) من حديث كعب بن مالك مرفوعاً.

(٢) رواه مسلم (٩١، ١٤٨).

(٣) أخرجه البخاري (٧٥١٠) وغيره عن أنس مرفوعاً.

بقضاء الله تحققت له السعادة. ومن أعظم أسباب حصول الرضا أن يلزم العبد ما جعل الله سبحانه رضاه فيه، فإنه يوصله إلى مقام الرضا ولابد، قيل ليحيي بن معاذ رحمه الله «متى يبلغ العبد إلى مقام الرضا؟ فقال: إذا أقام نفسه على أربعة فصول فيما يعامل به ربه، فيقول إن أعطيتني قبلت، وإن منعتني رضيت، وإن تركتني عبدت، وإن دعوتني أجبت».

فلا جرم أن الراضي بقضاء الله تعالى في السَّراء والضراء هو السعيد، وقد جاء في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلاَّ للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له**»[1].

فالمؤمن دائماً في خير ففي السـراء يشكر الله تعالى، فيزيده من النعم ﴿**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**﴾ [إبراهيم: ٧]، وكان شكره لله تعالى في ميزان حسناته ذخراً له يوم العرض عليه فربح في الدنيا والآخرة، وإن أصيب بمصيبة صبر، وحمد الله على كلِّ حال، فكان ذلك سبباً في إرضاء المولى، فعوضه الله خيراً، وجعل صبره وشكره ذخراً له في يوم القيامة.

٣- القناعة والرضا بالكفاف:

القناعة هي الرضا باليسير من العطاء، وقد قَنِعَ بالكسر يَقْنَعُ قُنوعاً وقَناعَةً إذا رَضِي، أمَّا قَنَعَ بالفتح يَقْنَعُ قنوعاً: إذا سأل، وفي التنـزيل العزيز ﴿**وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ**﴾ فالقانع الذي يسأل، والمعتر الذي يتعرض ولا يسأل.

والقناعة سبب العز في الدنيا كما ورد في الحديث الذي رواه الطبراني في «الأوسط» بإسناد حسن عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال «**جاء جبريل إلى**

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩) من حديث صهيب مرفوعاً.

النبي ﷺ فقال: يا محمد عش ما شئت، فإنك مجزيٌّ به، وأحبب من شئت، فإنك مفارقه، واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل، وعزه استغناؤه عن الناس».

والقناعة سبب الفلاح في الدنيا والآخرة، فقد ورد في صحيح مسلم، والترمذي، وغيرهما عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً، وقنعه الله بما آتاه**».

والمراد بالكفاف ما كفَّ عن السؤال.

وقال السلف الصالح: «عزَّ من قَنع، وذَلَّ من طمع»، وما ذلك إلاَّ لأنَّ القانع لا يُذلُّهُ الطلب، فلا يزال عزيزاً.

ولما رأى ابن السماك رجلاً سأل آخر حاجة، فأبى عليه، قال له ابن السماك: أيُّها الرجل عليك بالقناعة، فإنها العز، ثم أنشد:

إنِّي أرى مـــن لـــه قنـــوع يعــــدل من نـــال مـــا تمنى
والرزق يـــأتِ بـــلا عنـــــاء وربـــما فـــــات مـــن تعنى

وفَسَّر العلماء قوله تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً**﴾ [النحل:٩٧] أنَّ المراد بالحياة الطيبة القناعة.

وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: «يا بني إذا طلبت الغنى، فاطلبه بالقناعة، فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع، فإنه فقر حاضر، وعليك بالإياس مما في أيدي الناس، فإنك لا تيأس من شيء إلاَّ أغناك الله عنه».

فالعز كل العز في القنـــاعة، والرضا بأقل القليـــل، بالكفاف الذي يكفي عن السؤال.

قال الحافظ المنذري: الكفاف هو الذي ليس فيه فضل عن الكفاية.

وروى أبو الشيخ بن حيان في كتاب «الثواب» عن سعيد بن عبد العزيز أنه سئل: ما الكفاف من الرزق؟ قال: شبع يوم وجوع يوم.

فإن كان عند الإنسان ما يكفيه بما يأتيه يوماً بيوم أو عاماً بعام، لم يفته شيء من أصول المعيشة، ولا حاجة له فيما ينافس فيه المترفون من فضول المعيشة، فإنه - مع كونه مسئولاً عنه يوم القيامة - همٌّ حاضر، وقطع أيام العمر فيما يؤول إلى التراب، وأنفاس العبد محسوبة عليه، وهي جواهر ثمينة، فلا ينبغي أن تنفق في التراب وإنما يحمل على هذا القناعة.

إن القناعة من يحـــلل بساحتها　　　لم يلق في ظلها هـــماً يؤرقـــه

وقال آخر:-

اقنـــع برزق يسيـــر أنت نائلُه　　　واحذر ولا تتعرض للارادات ولا
فما صفا البحر إلاَّ وهو منتقص　　　تـــكـــدر إلاَّ بالزيـــــادات

وقال إبراهيم بن أدهم لشقيق بن إبراهيم البلخي: أخبرني عمَّا أنت عليه؟ قال شقيق: قلتُ: إن رزقتُ أكلت، وإن منعت صبرت، قال: هكذا تعمل كلاب بلخ. قلت: فكيف تعمل أنت؟ قال: إذا رزقت آثرت، وإذا منعت شكرت، فعَدَّ المنع عطاء يشكر عليه، وهو كذلك.

قال الإمام الحافظ ابن الجوزي رحمة الله في «صيد الخاطر»: تفكرت في قول شيبان الراعي لسفيان: يا سفيان عد منع الله إياك عطاء منه لك، فإنه لم يمنعك بخلاً إنما منعك لطفاً، فرأيته كلام من قد عرف الحقائق، فإن الإنسان قد يريد المستحسنات الفائقات فلا يقدر، وعجزه أصلح له، لأنه لو قدر عليهن تشتت قلبه، إمّا لحفظهن أو بالكسب عليهن، فإن قوي عشقه لهن ضاع عمره، وانقلب هم الآخرة إلى الاهتمام بهن فإن لم يردنه فذاك الهلاك الأكبر، وإن طلبن نفقة لم يطقها

كان سبب ذهاب مروءته، وهلاك عرضه، وإن مات معشوقه هلك هو أسفاً، فالذي يطلب الفائق يطلب سكيناً لذبحه وما يعلم، وكذلك إنفاذ قدر القوة فإنه نعمة، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**» وفي رواية: «**كفافاً**»، ومتى كثر تشتت الهم، فالعاقل من علم أن الدنيا لم تخلق للتنعيم، فقنع بدفع الوقت في كل حال. انتهى.

وقال بعضهم:

هي القناعة فالزمها تعش ملكاً ... لو لم يكن منها إلاَّ راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيـــا بأجمعها ... هل راح منها سوى بالقطن والكفن

وذكر الإمام الحافظ ابن الجوزي في كتابه «عيون الحكايات»: قال العمري السقطي: رأيتُ البهلول وقد دَلَّى رجله في قبر، وهو يلعب بالتراب، قلت: أنت ها هنا؟ قال: نعم عند قوم لا يؤذوني، وإن غبت لا يغتابوني. قلت له: إن السعر قد غلا. قال: لو بلغت كل حبة بمثقال لا أبالي، نعبده كما أمرنا، ويرزقنا كما وعدنا. ثم أنشأ يقول:

أفنيت عمرك فيما ليس تدركه ... ولا تنـــام عن اللذات عينـــاه
يا من تـــمتع بالدنيا ولذتـــها ... يقـــول لله مـــاذا حيـــن يلقـــاه

وسئل بشر بن الحارث عن القناعة؟ فقال: لو لم يكن فيها إلاَّ التمتع بعز الغنى لكان ذلك يجزي، ثم أنشأ يقول: -

أفـــادتنا القنـــاعةُ أيَّ عـــز ... ولا عزَّ أعـــزُّ مـــن القنـــاعة
فخذ منها لنفســـك رأس مال ... وصير بعدها التقوى بضاعة
تحز حـــالين تغني عـــن بخيـــل ... وتســـعد في الجنان بصبر ساعة

ثم قال بشر بن الحارث: «مروءة القناعة أشرف من مروءة البذل والعطاء».

ومن كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

وجدتُ القناعة ثوب الغنى	**فصـــرت بأذيـــالهـــا أتمســـك**
فألبســـني جـــاههـــا حلـــة	**يـــمـــر الزمـــان ولم تنتهـــك**
فصـــرت غنياً بـــلا درهـــم	**أمرُّ عـــزيـــزاً كـــأني مـــلك**

٤- المحافظة على الصلاة:

الصلاة هي أوَّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة كما ورد بالحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ أوَّل ما يُحاسبُ به العبدُ يوم القيامة من عمله صلاتُهُ، فإن صلحت، فقد أفلَحَ وأَنْجَحَ، وإن فَسَدت، فقد خاب وخَسِر، فإن انتقص من فريضته شيئاً قال الربُّ عز وجل:انظروا هل لعبدي من تطوع، فيُكمَّل منها ما انتقص من الفريضة؟ ثم تكون سائرُ أعماله على هذا**» ففلاح العبد وفوزه بأدائه صلاته تامة.

والصلاة تُعينُ على مصالح دينه ودنياه كما قال تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الخَاشِعِينَ**﴾ [البقرة: ٤٥].

وقال جلّ شأنه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُواْ استَعِينُواْ بِالصَّبرِ وَ الصَّلاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [البقرة: ١٥٣]

فأفضل ما يُستعانُ به على تحمل المصائب الصبر والصلاة، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر صلى، والصبر من أسباب الفلاح كما قال جل شأنه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والصبر على ثلاثة أقسام :

الأول: صبر على ترك المحارم والمآثم، فيترك العبد المناهي المحرمات والمكروهات بل والمشتبهات ابتغاء مرضاة الله تعالى.

الثاني: صبر على فعل القُربات والطاعات مع الإخلاص لله تعالى فيها، وموافقة النبي ﷺ فيها.

الثالث: صبر على المصائب والنوائب، فإذا أصيب العبد بمصيبة فصبر، وفّاه الله أجره بغير حساب كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ [الزمر: ١٠]، فالعبد عليه أن يشكر الله على نعمائه، ويصبر على ابتلائه، وفي ذلك الخير الكثير كما ورد بالحديث الصحيح عن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر، فكان خيراً له**». رواه مسلم.

فالمحافظ على الصلوات الخمس لا يصيبه الجزع والهلع إذا أصابته المصائب والابتلاءات كما أخبرنا الله تعالى: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً، إِلاَّ المُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ**﴾ [المعارج: ١٩-٢٣]، فالمحافظ على الصلاة يعيش مستريحاً مطمئن النفس في السَّراء والضرَّاء، لأن قلبه متعلق بالله في جميع أحواله، فلا يتقلب بتقلب الأحوال على عكس تارك الصلاة الذي يحسُّ بالتعاسة والشقاء والجزع إذا أصابه مكروه أو ابتلاء بالضراء، كما أنه لا يحسُّ بالراحة والسعادة في كل أحواله، لأنه قد استحوذ الشيطان عليه. وبمداومة العبد على الصلاة تقوى رغبته في الخير، وتسهل عليه الطاعات، وتهون عليه المشاق وتسهل عليه المصائب، وييسر الله له أموره.

والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥]، والصلاة طهارة ونظافة ويمحو الله بهن الخطايا كما ورد بالحديث الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قـال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كلَّ يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟ قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس يمحو الله بهن الخطايا**»[1].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثل الصلوات الخمس كمثل نَهْرٍ جارٍ غَمْرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات**»[2]، والغَمْر: الكثير والصلوات كفارة لما بينهن كما ورد بالحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة كفارةٌ لما بينهن، ما لم تُغْشَ الكبائر**»[3].

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرئ مسلم تحضُرُه صلاة مكتوبة فيُحسِنُ وضوءها، وخشوعها، وركوعها إلاَّ كانت كفارةً لما قبلها من الذنوب مالم تُؤت كبيرة، وذلك الدهر كله**»[4].

وصلاة الجماعة لها فضل عظيم كما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة الرجل في جماعة تُضَعَّفُ على صلاته في بيته وسوقه خمساً وعشرين ضعفاً، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يُخرِجُهُ إلاَّ الصلاة، لم يخْطُ خطوةً إلاَّ رُفعت له بها درجة، وَحُطَّت عنه بها خطيئة، فإذا صلى لم تزل الملائكة تُصلي عليه مادام في مُصلاهُ، مالم يُحْدث تقول: اللهم صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال في صلاةٍ ما انتظر الصلاة**»[5].

---

(١)، (٥) رواه البخاري، ومسلم.
(٢)، (٣)، (٤) رواه مسلم.

وعن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من صلى العشاء في جماعة، فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله**»[1].

٥- مراقبة الله تعالى:

فإن الله عز وجل يعلم أحوال العباد، وهو شهيد على أعمالهم حيث كانوا وأين كانوا، من بر أو بحر، في ليل أو نهار، في البيوت أو في القفار، الجميع في علمه على السواء، وتحت بصره وسمعه، فيسمع كلامهم، ويرى مكانهم، ويعلم سرهم ونجواهم كما قال تعالى: ﴿**أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلاَ حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [هود: ٥].

وقال تعالى: ﴿**سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ**﴾ [الرعد: ١٠]، فلا إله غيره ولا رب سواه، وقد ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لجبريل لما سأله عن الإحسان: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**».

وكان الإمام أحمد رحمه الله تعالى ينشد هذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل ... خلوت ولكن قـل عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ... ولا أن ما تخفي عليه يغيب

فإذا راقب العبد ربه في كلِّ أقواله وأعماله فلا جرم أن الله سيكلؤه برعايته، ويحفظه بعنايته من أيِّ سوء، وينصره على أعدائه، ويعينه على أمور دينه ودنياه، ففي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كنتُ خلف النبي ﷺ يوماً فقال: «**يا غلام إنّي أعلّمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده**

---

(١) رواه مسلم.

تُجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء، لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلاّ بشيء قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفت الصحف»(١).

وقوله: «**تجده تجاهك**»: أي تجده معك بالحفظ والإحاطة والتأييد والإعانة.

فالالتزام بأوامر الله ورسوله ﷺ، واجتناب المحرمات والمكروهات، بل والمشتبهات سبب لحفظ الله للعبد، وسبب لتأييده، ونصره على الأعداء، وسبب للسعادة والفلاح في الدنيا والآخرة.

٦- تقوى الله:

التقوى سر السعادة في الدارين الدنيا والآخرة، وهي فعل كل المأمورات التي أمر الله بها، وأمر بها رسوله ﷺ، واجتناب كل المنهيات التي نهى الله عنها ورسوله ﷺ.

وقد أناط الله تعالى الفلاح بالتقوى، فقال جلَّ شأنه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿**فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة: ١٠٠].

وأمر الله تعالى عباده بأن يأتوا البيوت من أبوابها، وجعلها من تقواه سبحانه، وسبب الفلاح، فقال جل شأنه: ﴿**وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة:١٨٩].

وأمر الله عباده أن يصبروا على الصلوات الخمس، ويصابروا أنفسهم وهواهم عليها، وأمرهم بالمرابطة في المساجد، وأمرهم بالتقوى حتى يفلحوا في دنياهم

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

وأخراهم، فقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرِّباط، فذلكم الرِّباط، فذلكم الرِّباط**»[(١)].

فجعل الله تعالى ورسوله ﷺ إسباغ الوضوء، والحفاظ على الصلاة حيث ينادى بهن، وانتظار الصلاة بعد الصلاة من الرباط الذي هو من تقوى الله تعالى، وهو سبب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة.

وقد أناط الله تعالى تطهير النفس من الأخلاق السيئة، ومتابعة ما أنزل الله على الرسول ﷺ، وإقامة الصلاة في أوقاتها، وإخراج زكاة الأموال ابتغاء رضوان الله، وطاعة لأمر الله، وامتثالاً لشرعه أناط ذلك بالفلاح في الدنيا والآخرة، فقال جل شأنه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ [الأعلى:١٤، ١٥]

وقال جل شأنه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا، وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾

[الشمس:٩، ١٠]

فالفلاح والسعـــادة لمن زكى نفسه بطاعة الله، وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل.

فأمر الله عز وجل عباده أن يتركوا ما حرمه سبحانه من ربا أو خمرٍ أو ميسر، وجعل اجتناب هذه المحرمات من التقوى التي هي سبب الفلاح في الدنيا والآخرة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥١)، والبيهقي (٨٢/١)، والبغوي (١٤٩)، وأحمد (٢٧٧/٢ و٣٠٣) عن أبي هريرة مرفوعاً.

فقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

وأناط الله سبحانه التوفيق للأعمال الصالحة، وغفران الذنوب الماضية، وإلهام التوبة في المستقبل لما يقع من العباد، أناط ذلك بالتقوى والقول السديد الذي لا اعوجاج فيه ولا انحراف، فقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]، فمن اتقى الله تعالى بطاعته له سبحانه وطاعة رسوله ﷺ تحقق له الفوز بالنعيم المقيم، والنجاة من نار الجحيم.

وتقوى الله عز وجل سبب الخروج من كل ضيق وكرب، وسبب الرزق من حيث يرجو ولا يأمل كما قال جل شأنه: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً، وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وبتقوى الله عز وجل بفعل أوامره، وترك زواجره يوفق الله العبد إلى معرفة الحق من الباطل، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من المصائب والمحن، وتكفير ذنوبه وهو محوها، وغفرها سترها عن الناس، وسبباً لنيل ثواب الله الجزيل كما قال جل شأنه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الفَضْلِ العَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

[الحديد:٢٨]، أي يجعل الله لمن يتقيه نوراً يعني هدى يتبصر به من العمى والجهالة، ويغفر لكم، ففضلهم بالنور والمغفرة.

فما أعظم هذا الفلاح وهذا الفوز، فاللهم ارزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، واحفظنا من النار وما قرب إليها من قول وعمل برحمتك يا أرحم الراحمين.

٧- الجهاد في سبيل الله:

لا جرم أن الجهاد في سبيل الله أعظم القربات إلى رب العالمين، فقد عدَّهُ بعض العلماء ركناً سادساً للإسلام، وهو ذروة سنام الإسلام كما ورد بالحديث عن معاذ رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ألا أخبرك برأس الأمر وعموده، وذروة سنامه؟** قلت: بلى يا رسول الله، قال: **رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد**»[1].

والجهاد له فضل عظيم، وهو سبب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، قال عز وجل: ﴿**وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [المائدة: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [التوبة: ١١١]. فجعل الله سبحانه الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم، إذا بذلوها فيه استحقوا الثمن، وهو الجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قبل العوض عما يملكه بما تفضل به على عبيده المطيعين له، ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: «بايعهم والله فأغلى ثمنهم»، فليستبشر من قام بمقتضى هذا العقد، ووفى بهذا العهد، بالفوز العظيم، والنعيم المقيم.

---

(١) أخرجه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ، أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الفَوْزُ العَظِيمُ﴾ [التوبة: ٨٨، ٨٩].

فالفلاح والسعادة والفوز العظيم لمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله تعالى.

ولا جرم أن يكون المجاهد في سبيل الله تعالى أفضل الناس كما ورد في الحديث الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: «أيُّ الناس أفضل؟ **قال: مؤمن يجاهد بنفسه وماله في سبيل الله** قال ثم من؟ قال: **مؤمن في شعبٍ من الشّعاب، يعبُدُ الله ويدعُ الناس من شرّه**»[1].

وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَغَدْوةٌ في سبيل الله أَوْ روْحَةٌ خَيْرٌ من الدنيا وما فيها**»[2].

فالمجاهد في سبيل الله قد حاز الفضل والسبق، والسعادة والفلاح، والفوز العظيم كما قال الله تعالى، وكما قال رسوله ﷺ.

٨- الإنفاق في سبيل الله تعالى:

عادة الإنســان البخل والمنع كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ الإنسَانُ قَتُوراً﴾ [الإسراء: ١٠٠]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَّ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾ [النساء: ٥٣]، أي لو أن لهم نصيباً في ملك الله لما أعطوا أحداً شيئاً ولا مقدار نقير، فهذا وصف الله للإنسان إلاّ من وفقه الله، فالبخل والجزع والهلع صفة له كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الإنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الخَيْرُ مَنُوعاً، إِلاَّ المُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ١٩-٢٢].

---

(١)، (٢) أخرجه البخاري، ومسلم.

وقد توعد الله من يبخل بما آتاه الله من فضله من أموال، ولا ينفقوا منها فيما افترضه الله عليهم، فباءوا بغضب الله وسخطه، والعذاب الأليم في الآخرة، قال جل شأنه: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥].

فكان جمع المال آثر عندهم من رضا الله؛ لأنهم لم يستجيبوا لله في إنفاق هذه الأموال كما أمر سبحانه، فعذبوا بهذا المال الذي اكتنـــزوه، فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم جزاءً وفاقاً، فكان هذا المال سبباً في شقائهم في الآخرة، بعد أن تعبوا وشقوا في جمعه في الدنيا، ولم يسعدوا به في الدنيا، لأنهم كانوا مشغولين بجمعه واكتنازه، ولم يؤدوا حق الله فيه خوفاً من أن يفقدوه، فعاقبهم الله تعالى بالشقاء والتعاسة في الدارين الدنيا والآخرة، أمَّا المؤمنون الصادقون فلهم منهج ومبدأ حدده لهم الله تعالى في كتابه وسنة نبيه، فلم يشاقوا الله ورسوله ﷺ، والتزموا منهج الله تعالى، فوقاهم الله شُحَّ أنفسهم، فكان لهم الفلاح في الدنيا والآخرة، قال جل شأنه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فأنفقوا أموالهم ابتغاء رضوان الله تعالى، فسعدوا في الدنيا والآخرة، وأخلفهم الله ما أنفقوه، وجازاهم في الآخرة بالأجر العظيم، قال جل شأنه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، وقال عز وجل: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتاً مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، فهم متحققون ومثبتون وواثقون بأن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء، فعملهم هذا لا يبور أبداً بل يتقبله الله تعالى ويكثره، وينميه، فهو الذي لا

يخفى عليه من أعمال عباده شيء كما قال جل شأنه: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢].

فما أنفقوه في سبيل الله، فلن يضيع عنده تعالى كما قال جل شأنه:﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلأَنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٢] فهم قد تصدقوا ابتغاء وجه الله، لذا فقد وقع أجرهم عليه سبحانه، فإذا أصاب بصدقته براً كان أو فاجراً، مستحقاً كان أو غير مستحق، فهو مثاب على قصده كما قال تعالى في الآية الكريمة الآنفة: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾، وقد جاء في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**قال رجلٌ لأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيلةَ بصَدَقَة، فَخَرَجَ بصَدَقته فوَضَعَها في يد زانية، فأصبحوا يتحدَّثونَ، تُصُدّقَ اللّيلةُ على زانية، قال: اللَّهُمَّ لك الحمدُ على زانية، لأَتَصَدَّقَنَّ بصَدَقة، فخرج بصَدَقَته فوَضَعَها في يد غني، فأصبحوا يتحدَّثونَ، تُصُدّقَ على غني، قال: اللهم لك الحمدُ على غني، لأَتَصَدَّقَنَّ بصدقة، فخرج بصدقته،فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون: تُصُدّقَ على سارق، فقال: اللهم لك الحَمْدُ على زانية، وعلى غني، وعلى سارق، فأُتِيَ فقيل له: أمَّا صدقتُك فقد قُبِلَتْ، وأمَّا الزانيةُ فلَعَلَّها تَسْتَعفُّ بها عن زناها، ولعلَّ الغني يعتبر فَيُنفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ الله، ولعلَّ السَّارقَ يسْتَعفُّ بها عن سرقته**»[1].

وقوله أُتِيَ: أي في المنام، فثبت أجر هذا المتصدق، وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها، فلا جرم أن يجزل لهم الأجر، ويضاعف لهم العطاء في الدنيا والآخرة كما

(١) رواه البخاري ومسلم، واللفظ لمسلم (١٠٢٢).

قال جل شأنه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فالحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، فهؤلاء الذين أنفقوا أموالهم في السر والعلن لن تبور تجارتهم، فالله عليم بنفقاتهم، وسيكفر سيئاتهم، كما قال جل شأنه: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ، إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٧٠، ٢٧١].

وقد قيل إنها نزلت في أبي بكر وعمر رضى الله عنهما، أمَّا عمر فجاء بنصف ماله حتى دفعه إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: «**ما خلفت وراءك لأهلك يا عمر؟** قال: خلفت لهم نصف مالي، وأمَّا أبو بكر فجاء بماله كله يكاد أن يخفيه من نفسه حتى دفعه إلى النبي ﷺ، فقال له النبي ﷺ: **ما خلفت وراءك لأهلك يا أبا بكر؟** فقال: عدة الله وعدة رسوله، فبكى عمر رضى الله عنه وقال بأبي أنت وأمي يا أبا بكر والله ما استبقنا إلى باب خير قط إلا كنت سابقاً». وقد روي مثل هذا من وجه آخر عن عمر رضى الله عنه.

والشاهد من هذا هو فضل صدقة السر على صدقة العلانية، وذلك في الصدقة المفروضة والمندوبة، فلله درَّ هؤلاء الصحابة أُسْد الغابة الذين ملكوا الدنيا، لأنهم قدموا أرواحهم وأموالهم رخيصة، فآثروا الباقي على الفاني الزائل، فاستحقوا بجدارة سعادة الدنيا، والفوز بالنعيم المقيم في الدار الآخرة ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِراً وَعَلاَنِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ**﴾ [المؤمنون: ١-٤].

وقال تعالى: ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الروم:٣٨].

فلا جرم أنَّ لهؤلاء المنفقين الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، وقد أمنهم الله عز وجل من الخوف والحزن فضلاً عن الأجر العظيم الذي أعدَّه الله لهم في الآخرة، وما نقص مال هؤلاء المنفقين، بل زاد مالهم بما أنفقوه كما ورد بالحديث الصحيح: «**ما نقصت صدقة من مال**»[(١)]، ومعناه أنَّ الله يُبارك في أموالهم، ويدفع عنه المضرات، فينجبر نقص الصورة بالبركة الخفية، أوْ إنه وإن نقصت صورته، كان في الثواب المرتب عليه جبر لنقصه، وزيادة إلى أضعاف كثيرة.

وما أروع المثل الذي ضربه رسول الله ﷺ للمنفق والبخيل في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مثَلُ البخيلِ والمتصدِّقِ مثل رجلين عليهما جُنَّتان من حديد، إذا همَّ المتصدِّقُ اتَّسعت عليه حتى تُعفِّي أَثَرهُ، وإذا همَّ البخيلُ بصدقةٍ تَقَلَّصَت عليه، وانضَمَّت يداهُ إلى تراقيه، وانقبضت كلُّ حلقةٍ إلى صاحبتها**، قال فسمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **فَيَجْهَدُ أن يُوسِّعها فلا يستطيع**»[(٢)].

ومعنى يُعفِّي أثره أي يُمحي أثر مشيه بسبوغها وكمالها، وهو تمثيل لنماء المال بالصدقة والإنفاق، والبخل بضد ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) رواه مسلم (١٠٢١) (٧٧).

٩- ذكر الله تعالى:

لا جرم أن ذكر الله تعالى كثيراً من أعظم أسباب الفلاح والسعادة كما قال جل شأنه: ﴿**وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأنفال: ٤٥] و[الجمعة: ١٠]. فأناط الله الفلاح بالذكر الكثير، فحقيق بكل مسلم أن يذكر الله ذكراً كثيراً أثناء بيعه وشرائه وأخذه وإعطائه، كما أمر سبحانه عباده المؤمنين فقال جل شأنه: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً، وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**سبق المُفرِّدون، قالوا: وما المُفرِّدون يا رسول الله؟ قال: الذاكرون الله كثيراً والذاكرات**»[1].

والجائزة الكبرى والهدية العظمى لكلّ من يذكر الله كثيراً هي مغفرة الذنوب كما قال جل شأنه: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً**﴾ [الأحزاب: ٣٥].

قال مجاهد: «لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيراً حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضطجعاً»، وذكر الله تسكن به النفوس، وتسعد به القلوب، وتتحقق به الراحة والطمأنينة كما قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾ [الرعد:٢٨]، فمن ذكر الله وهو خائف آمنه، ومن ذكره وهو مستوحش آنسه.

أرأيتم السعادة والفلاح بسبب ذكر الله تعالى؟! فلا جرم أن ذكر العبد ربه أفضل من كل شيء كما قال تعالى: ﴿**وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ [العنكبوت: ٤٥].

---

(١) رواه مسلم.

وقد ورد في الحديث الصحيح عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم، ويضربوا أعناقكم؟!** قالوا: بلى. **قال: ذكر الله تعالى**»(١).

وإذا ذكر العبد ربه ذكره الله تعالى كما قال جل شأنه: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ**﴾ [البقرة: ١٥٢].

وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري، ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير منهم**».

وقد ذكر ابن القيم - يرحمه الله تعالى - فوائد جمة لذكر الله منها:

١- أن الذكر يرضي الله عز وجل.

٢- أن الذكر يطرد الشيطان.

٣- أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

٤- أنه يجلب للقلب الفرح، والسرور، والسعادة.

٥- أنه يقوي القلب، والبدن.

٦- أنه ينور الوجه والقلب.

٧- أنه يجلب الرزق.

٨- أنه يكسو الذاكر المهابة والنضرة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٧٤)، وابن ماجه (٣٧٩٠)، وأحمد (٦/٤٧٧)، وإسناده صحيح.

٩- أنه يورث المحبة.

١٠- أنه يورث المراقبة، والإنابة، والقرب إلى الله عز وجل.

١١- أنه يورث الهيبة لربه عز وجل.

١٢- أنه يورث ذكر الله تعالى له.

١٣- أنه يورث حياة القلب.

١٤- أنه قوت القلب والروح.

١٥- أنه يحط عنه الخطايا ويذهبها.

١٦- أنه يزيل الوحشة بينه وبين ربه.

١٧- أن العبد إذا ذكر ربه في الرخاء عرفه الله تعالى في الشدّة.

١٨- أنه منجاة من العذاب.

١٩- أنه سبب لنـــزول السكينة.

٢٠- أنه سبب لاشتغال اللسان عن الغيبة، والنميمة، والكذب، والفحش.

٢١- أن الذاكر تجالسه الملائكة في المجلس الذي يذكر فيه ربه.

٢٢- الذكر يسعد الذاكر، ويسعد به جليسه.

٢٣- أنه يؤمِّن العبد من الحسرة يوم القيامة.

٢٤- أن الذكر مع البكاء في الخلوة سبب لإظلال الله تعالى للعبد يوم القيامة في ظل العرش.

٢٥- أن الذكر سبب لإعطاء الذاكر أفضل ما يعطي السائلين.

٢٦- أنه أيسر العبادات، وهو من أَجَلِّها وأفضلها.

٢٧- أن الذكر غراس الجنة.

٢٨- أن الذكر ينبه القلب من نومه ويوقظه.

٢٩- أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التي شَمَّرَ إليها السالكون.

٣٠- أن الذاكر قريب من مذكوره، ومذكوره معه، وهذه المعيَّة تثمر القرب والولاية، والمحبة، والنصرة، والتوفيق.

٣١- أن الذكر يعدل عتق الرقاب، ونفقة الأموال، والحمل على الخيل في سبيل الله عز وجل، والضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل.

٣٢- أن الذكر رأس الشكر.

٣٣- أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطباً بذكره.

٣٤- أن الذكر يذيب قسوة القلب.

٣٥- أن الذكر شفاء القلب ودواؤه.

٣٦- الذكر يجلب النعم، ويدفع النقم.

٣٧- الذكر يوجب صلاة الله عز وجل وملائكته على الذاكر.

٣٨- أن من شاء أن يسكن رياض الجنة في الدنيا، فليستوطن مجالس الذكر، فإنها رياض الجنة.

٣٩- أنَّ الله عز وجل يباهي بالذاكر ملائكته.

٤٠- ذكر الله عز وجل يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق.

٤١- ذكر الله عز وجل يذهب مخاوف القلب.

٤٢- أن الملائكة تستغفر للذاكر.

٤٣- كثرة الذكر أمان من النفاق.

٤٤- الذكر حرز للذاكر من الشياطين.

١٠- الاستغفار والتوبة من المعاصي والآثام:

لا جرم أن الاستغفار يمحو الله به السيئات،ويزيل به الخطيئات، وهو من أسباب الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: **﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [النور: ٣١].

وقال جل شأنه: **﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾** [القصص: ٦٧]، وعسى من الله واقع لا محالة بفضله ومنّه سبحانه.

وقال تعالى: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً، يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً، وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَاراً﴾** [نوح:١٠-١٢].

أي إنكم إذا تبتم إلى الله، واستغفرتموه، وأطعتموه، كثر الرزق عليكم، وأسقاكم من بركات السماء، وأنبت لكم من بركات الأرض، وأنبت لكم الزرع، وأدرَّ لكم الضرع، وأمدكم بأموال وبنين أي أعطاكم الأموال والأولاد، وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار، وخللها بالأنهار الجارية بينها، وكل هذه النعم والمنن نتيجة للاستغفار.

فمن تاب إلى الله تعالى توبة صادقة، تاب الله عليه، وبدَّل سيئاته حسنات، وقد كان ﷺ يستغفر الله تعالى أكثر من سبعين مرة، ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**والله إنِّي لأستغفر الله، وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**»[١].

وفي الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال أستغفر الله الذي لا إله إلاَّ هو الحيُّ القيوم، وأتوبُ إليه، غُفرت ذُنوبُه، وإن كان قد فرَّ من الزحف**»[٢].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه أبو داود، والترمذي، والحاكم، وللحديث شواهد تقويه.

١١- العلم الشرعي:

لا جرم أن العلم أشرف وأفضل من كلِّ ما اكتسبه العبد، فالعلم أفضل من المال، ومن كلِّ حُطام الدنيا الفاني الزائل، فالعلم يحفظ صاحبه، والمال يحتاج إلى حافظ يحفظه، والعلم يؤتيه الله للذي يحبه من المؤمنين المخلصين، والمال يؤتيه الله للكافر والمؤمن، وربما كان المؤمن فقيراً لا مال له، والعلم لا ينتقص بالإنفاق منه، بل يزيد كما قال العلماء: «العلم يزكو بالإنفاق»، أمَّا المال فينقص بالإنفاق منه، والعلم سبب سعادة صاحبه في الدنيا والآخرة، أمَّا المال فقد يكون سبب شقاء الكثير ممن يملكونه ولا ينفقونه حيث أمر الله.

والعالم لا ينقطع عمله بموته، بل عمله دائم إلى قيام الساعة، أمَّا صاحب المال، فإن عمله ينقطع بمجرد موته، وهذا كثير فيمن يملكون الأموال، كما ورد في الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاَّ من ثلاث: صدقة جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له**»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً**»[2].

فأجره مستديم غير منقطع إذا استمر العمل بما دعا إليه، أمَّا صاحب المال فإنه لا ينتفع بماله إذا مات إلاَّ إذا كان أنفقه في صدقة جارية.

والعلم عون على المروءة، وهو الصاحبُ في الغُربة، والمُؤنسُ في الخلوة، وهو نور ساطع لكل من استضاء به، وهو شرف عظيم لكل من حمله أو انتسب إليه، فكم من وضيع حقير رفعه العلم إلى مصاف الشرفاء العظماء، فدانت له الملوك والأمراء

(١)، (٢) رواه مسلم.

والسلاطين، وكتب التراجم والسير تحكي الكثير من هذا، قال تعالى: **﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾** [المجادلة: ١١].

ورفع الله عز وجل آدم عليه السلام على الملائكة لما علّمه أسماء الملائكة، وأسماء ذريته، وأسماء كل دابة، وكل طير، وكل شيء من المخلوقات، عرض الله هذه المخلوقات المسماة على الملائكة، وعجزت الملائكة فقالت: **﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ العَلِيمُ الحَكِيمُ﴾** [البقرة: ٣٢]. ولما طلب الله من رسوله في قوله تعالى: **﴿وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾** [طه: ١١٤]، أمره سبحانه وتعالى أن يقول: **﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾** [طه: ١١٤].

فأمره الله عز وجل أن يطلب منه المزيد من العلم، وما هذا إلاَّ لشرف العلم، وفضله، ومكانته عند الله، وعند رسوله ﷺ، فالعلم أفضل ما يكتسبه العبد، وليس ثم أشرف منه أو أفضل منه، وإلا لطلب الله من رسوله أن يستزيد منه.

وفي فضل العلم والعلماء ورد في الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من سَلَكَ طريقاً يَبتغي فيه علماً سهَّل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً بمَا يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء وَرَثَةُ الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورِّثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما وَرَّثوا العلم، فمن أَخَذَهُ أخذ بحظ وافرٍ**»[1].

والعلماء هم أشدُّ الناس خشية لله عز وجل، وأحقهم بها، فهم العارفون به، وكلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت

---

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والدارمي بإسناد حسن عن أبي الدرداء.

بالأسماء الحسنى، كلما كانت المعرفة به أتم، والعلم به أكمل، كانت الخشية له أعظم وأكثر، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

قال الحسن البصري: العالم من خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سخط الله فيه ثم تلا الحسن البصري: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: ٢٨].

ولفضل العلم تعلماً وتعليماً قال رسول الله ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها إلاَّ ذكر الله تعالى، وما والاهُ، وعالماً، أَوْ متعلماً**»[1].

فالسعادة والفلاح في العلم النافع، والسهر في طلبه وتحصيله، ومما يُنسب للإمام الشافعي رحمة الله تعالى قوله:

سأطلب علماً أو أموت ببلدة ... يقلُّ بها هطل الدموع على قبري

وليس اكتساب العلم يا نفس فاعلمي ... بميراث آباء كرام ولا صهر

ولكن فتى الفتيان من راح واغتدى ... ليطلب علماً بالتجلد والصبر

فإن نال علماً عاش في الدنيا ماجداً ... وإن مات قال الناس بالغ في العذر

إذا هجع النوام أسبلت عبرتي ... وأنشدتُ بيتاً وهو من ألطف الشعر

أليـــس من الخســـران أن لياليا ... تمرُّ بلا علم وتحسب من عمري

وقال آخر:

إذا مرَّ بي يـــومٌ ولم أستفد هدى ... ولم أكتسب علماً فما ذاك من عمري

وقال آخر:-

ففُز بعـــلم تعش حياً به أبـــداً ... فالناس موتى وأهل العلم أحياء

---

(١) رواه الترمذي، وقال حديث حسن عن أبي هريرة.

هكذا قال أهل العلم، فقد أحبوا العلم حبّاً جماً حتى ضرب حبُّه بجرانه في قلوبهم وعقولهم ودمائهم، لأنهم أيقنوا أن السعادة في العلم، والسَّهر في طلبه وتحصيله.

١٢- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وهو واجب على الكفاية، فإن قام به واحد، أو البعض، سقط عن الكل، والمعروف اسم جامع لكلّ ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه، والإحسان إلى الناس بكل ما ندب إليه الشرع، والمنكر ضد ذلك جميعه.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب من أسباب السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة لقوله جل شأنه: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وأثبت الله الخيرية لهذه الأمة؛ لأمرهم بالمعروف؛ ونهيهم عن المنكر، فمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، فهو من خير الناس قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [آل عمران: ١١٠]، فهم خير الأمم، وأنفع الناس للناس، لأنهم دعوا إلى الله، ودخل بسببهم الإسلام ناس كما ورد عن أبي هريرة رضى الله عنه: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ قال: «**خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام**»[(١)]، فكانوا خير الناس؛ لكونهم كانوا سبباً في إسلامهم. فلا جرم أن يرحم الله هؤلاء المؤمنين ويعزهم؛ لأن بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر كما قال جل شأنه: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة: ٧١].

---

(١) رواه البخاري (٤٥٥٧)، موقوفاً عليه.

ولا جرم أن ينجي الله عز وجل الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر من أيِّ سوء كما حكى عن بني إسرائيل في محكم الكتاب: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ، فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [الأعراف: ١٦٤-١٦٦]

فلما وقع على بني إسرائيل غضب الله نجت الطائفتان اللتان قالوا لم تعظون قوماً الله مهلكهم، والذين قالوا معذرة إلى ربكم، وأهلك الله أهل معصيته الذين أخذوا الحيتان في يوم السبت فجعلهم قردة، فنجا الله عز وجل الذين أمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وأهلك الظالمين الذين لم يستجيبوا لهم.

ولا جرم أن ينصر الله من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، لأنه نصر دين الله كما قال جل شأنه: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، فنصر الأنبياء والرسل وحواريهم دين الله عز وجل، فكان النصر والتمكين والعزة لهم، ومن اتبعهم كما حكى القرآن، وسجل قصصهم مع أقوامهم في آيات تتلى إلى قيام الساعة.

وما حدث بين موسى وهارون عليهما السلام مع فرعون الطاغية، ونصر الله لهما على فرعون وملئه لعبرة لأولي الألباب والأبصار.

وما حدث لسيد الخلق وحبيب الحق ﷺ بينه وبين صناديد الكفر حين كذبوه في مكة، وآذوه، وتآمروا عليه، فلم يخف منهم، وبلغهم دعوة الحق حتى نصره الله، ومكن له، لعبرة أيضاً لكل من يريد أن يبلغ دعوة الله إلى الناس.

فالسعادة والفلاح، والنصر والتمكين على الأعداء، والنجاة من أيِّ سوء جزاء دنيوي لكل من يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر هذا خلاف ثواب الله الكبير، والأجر الكثير لكل من أمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، و لم يخالف فعله قوله.

١٣- فعل الخيرات:

لا ريب أن من أسباب الفلاح فعل الخيرات كما قال تعالى: **﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾** [الحج: ٧٧]. وقال جل شأنه: **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾** [الزلزلة: ٧]. وقال جل شأنه: **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾** [الجاثية: ١٥].

ولا جرم أن الله تعالى يجازي بالإحسان إحساناً، ولله در القائل:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه   لا يذهب العرف بين الله والناس

وقد حث النبي ﷺ العباد على فعل الخير، ففي الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أبي ذر قال: قال لي النبي ﷺ: «**لا تحقرن من المعروف شيئاً، ولو أن تلقى أخاك بوجه طلْق**».

وفي الحديث الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلُّ سُلامى من الناس عليه صدقة كل يوم تطلعُ فيه الشمس، تعدل بين الاثنين صدقة، وتُعين الرجل في دابته، فتحمله عليها أو ترفَعُ له عليها متاعَهُ صدقة، والكلمة الطيبةُ صدقة، وبكل خطوةٍ تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتُميطُ الأذى عن الطريق صدقة**»[1].

فلا جرم أن فعل الخير يجلب السعادة لفاعلها في الدنيا والآخرة، ففي الحديث الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لقد رأيتُ رجلاً يَتَقَلَّبُ في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين**»[2].

(١) أخرجه البخاري، ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

وفي رواية: «**مرَّ رجل بغُصن شجرة على ظهر الطريق فقال: والله لأُنحينَّ هذا عن المسلمين لا يُؤذيهم، فأُدْخل الجنة**».

١٤- شكر الله على نعمه وآلائه:

لا جرم أن شكر الله على نعمه سبب الفلاح والسعادة كما قال جل شأنه: ﴿**فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [الأعراف: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿**فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ**﴾ [البقرة:١٥٢].

فذكر الله عباده الذاكرين له أكبر من ذكرهم إياه كما في الحديث الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ، ذكرته في ملإ خير منهم، وإن اقترب إليَّ شبراً، اقتربت إليه ذراعاً، فإن اقترب إليَّ ذراعاً، اقتربتُ إليه باعاً، فإن أتاني يمشي، أتيتُهُ هرولة**»[(١)].

وقد أمر الله تعالى بشكره، ووعد على شكره بمزيد الخير فقال جل شأنه: ﴿**وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**﴾ [إبراهيم: ٧].

فشكر الله تعالى على نعمه سبب لزيادة هذه النعم، فإذا كفر الناس نعم الله وجحدوها، فإن الله يسلبها عنهم ويعاقبهم على كفر هذه النعم بسلبها، وقد ورد بالحديث الصحيح: «**إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) (٢) و(٢١)، وابن ماجه (٣٨٢٢)، والنسائي في «الكبرى» (٧٧٣٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (١/١٥)، وابن حبان (٨١١) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة مرفوعاً.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (١٠/٤٤١-٤٤٢)، وأحمد (٥/٢٧٧و٢٨٠و٢٨٢)، وابن ماجه(٩٠)، وغيرهم من حديث ثوبان مرفوعاً.

وحمد الله على نعمه وآلائه سبب لرضا الله عز وجل كما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلةَ فيحمدُهُ عليها، ويشربُ الشربة، فيحمدُهُ عليها**».

فشكر الله عز وجل سبب في السعادة والفلاح، وزيادة في نعم الله تعالى، وعدم نقصانها، وسبب في رضا الله عز وجل الذي به سعادة الدنيا والآخرة.

١٥- عدم النظر إلى من فوقه في الدنيا :

إذا نظر الإنسان إلى من فُضِّل عليه في المال، والخَلْق، والدنيا، طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد بذلك أو يقاربه، وهذا هو الموجود في غالب الناس، وإذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها ظهرت له نعمة الله تعالى عليه، فشكرها، وتواضع، وفعل فيه الخير، وقد حبب إلينا رسول الله ﷺ النظر إلى من هو أسفل منا، وعدم النظر إلى من فضل علينا في الدنيا كما في الحديث الصحيح: «**انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من فوقكم، فإنه أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم**»[١].

ووقع في رواية عند مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا نظر أحدكم إلى من فُضِّل عليه في المال والخلق، فلينظر إلى من هو أسفل منه ممن فُضِّل عليه**»[٢]، فإذا فعل المسلم ذلك أحسَّ بالرضا، وشكر الله على ما أولاه من نعم، ولم يستصغر ما عنده من منن فأحسّ بالسعادة والطمأنينة، وراحة البال، وهدوء السريرة، أمَّا المتطلع إلى من فضل عليه في الدنيا، فإنه يحسُّ بالحسرة، وعدم

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٣) (٩)، والترمذي (٢٥١٣)، وابن ماجه (٤١٤٢)، وابن حبان (٧١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٢٨٥) و(١٠٢٨٦)، وأحمد (٢/٢٥٤و٤٨٢)، وغيرهم من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: فذكره.

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٣) (٨).

الرضا؛ لأنه لم يحصل على ما حصل لغيره من فضل ونعم، فلا جرم أن يعيش في شقاء وتعاسة؛ لأنه لم يمتثل ما وصّى به رسول الله ﷺ.

١٦- صحبة الأخيار الصالحين:

لا شك أن الصحبة الطيبة الخيرة الفاضلة تنعكس على قرينها بالخير والسعادة، فإن الصاحب الطيب العالم يُنتفع بصحبته وصداقته، والعكس صحيح أيضاً، كما ورد بالحديث الصحيح: «**مثل الجليس الصالح ومثل الجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إمّا أن يحرق ثيابك، وإمّا أن تجد منه ريحاً خبيثة**»(١).

ففي هذا الحديث الترغيب في مجالسة من ينتفع بمجالسته في أمور الدين والدنيا، والنهي عن مجالسة من يُتأذى بمجالسته فيها، قال أبو العلاء:

ولا تجلس إلى أهل الدّنايا فإن خلائق السُّفهاء تُعدي

وقد أوصى رسول الله ﷺ بصحبة الأخيار من المؤمنين، فقال: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**»(٢).

فالخير كل الخير في صحبة الأتقياء الأنقياء سيما إذا كانوا من أهل العلم والفضل، فإن صحبة هؤلاء تجلب السعادة والخير لمن يصاحبهم ويقارنهم، ولله دَرُّ القائل:

عن المرء لا تسأل وَسَلْ عن قرينه فكل قرينٍ بالمُقارنِ يَقتدي

---

(١) أخرجه البخاري (٢١٠١) و(٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨)، والقضاعي (١٣٨٠)، والبغوي في «شرح السنة» (٣٤٨٣) من حديث أبي موسى مرفوعاً.

(٢) أخرجه الطيالسي (٢٢١٣)، وأحمد (٣/٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٢)، والترمذي (٢٣٩٥)، والدارمي (٢/١٠٣)، وغيرهم من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً.

وقد قال ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل**»[(١)].

ولا جرم أن الأخيار المؤمنين سيما إذا كانوا من العلماء يعاونون من رافقهم على الخير في الدين والدنيا، ويناصرونهم، ويساعدونهم على نوائب الدهر، ويقفون بجوارهم في المصائب والملمات والأفراح، وإذا رأوا حسنة لمن قارنهم عدُّوها، وإذا رأوا سيئة ممن صاحبهم سدُّوها، وأرشدوا صاحبهم إلى السداد والرشاد.

فعلى المسلم الحريص على الخير والسعادة أن يصاحب العالم الناصح الذي:

يُفيدُكَ من علم وينهاك عن هوى ... فصاحِبْهُ تُهْدَى من هُدَاه وتُرشَد

وقال آخر:

فصــاحب تقيًّا عــالمًا تنتفع به ... فَصُحبةُ أهل الخير تُرجَى وتُطلبُ

وإياك والفُسّــاق لا تَصحبنَّهم ... فَقُربُهم يُعْدي وهــذا مُجرَّبُ

فإنا رأينــا المرءَ يســرقُ طَبعَهُ ... من الأُلْفِ ثم الشَّرِّ للناس أغلبُ

كما قيــل طينٌ لاصقٌ أو مؤثر ... كذا دُودُ مَرْجٍ خَضْرةٍ منه يكسبُ

وجانب ذوي الأَوزارِ لا تقربنَّهم ... فقُربُهُــم يُرْدِي وللعِــرضِ يَثْلِبُ

وقال آخر:

وخالط إذا خــالطت كلَّ مُوَفَّق ... من العُلمــا أهــل التُّقى والتَّعبُّد

١٧- المرأة الصالحة، والبيت الواسع، والمركب الهنيء، والجار الصالح :

فقد ورد في الحديث عن محمد بن سعد، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاث من السعادة، وثلاث من الشقاوة، فمن السعادة المرأة تراها تعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك،**

---

(١) رواه أحمد، وأبوداود (٤٨٣٣)، والترمذي (٢٣٧٨) من حديث أبي هريرة، وقال الترمذي حديث حسن غريب.

والدار تكون واسعة كثيرة المرافق، ومن الشقاوة المرأة تراها فتسوؤك، وتحمل لسانها عليك، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفاً، فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركبها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق»[١].

وورد في الحديث عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من السعادة: المرأة الصالحة، والمسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء، وأربعٌ من الشقاوة: الجارُ السوء، والمرأةُ السّوءُ، والمسكنُ الضّيقُ، والمركبُ السوء**»[٢].

وفي الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»[٣].

١٨- علو الهّمة في أمور الدين والدنيا، والترفع عن السُّباب، والصبر على تحقيق الهدف:

إذا فكر الإنسان في الآخرة وشرفها، ودوام نعيمها، وفي الدنيا وتقلب أحوالها وزوالها، أثر ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا، وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت، أورثه ذلك الجد والاجتهاد، وبذل الوسع والجهد في اغتنام الأوقات، وهذا يعلي همته في العمل للآخرة، ويعلي همته في العمل للدنيا بما يخدم الدين، وبما يؤدي عليه من حقوق فرضها الله عز وجل، فالمسلم ذو الهمة العالية لا يتوانى ولا يتكاسل في العمل للآخرة، ولا للدنيا بما يرضي عنه الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ [القصص: ٧٧].

---

(١) أخرجه الحاكم (١٦٢/٢) وإسناده حسن من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعاً.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٨/١)، والبزار (١٤١٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣٨٨/٨) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً، وإسناده صحيح على شرط البخاري.

(٣) أخرجه مسلم (١٤٦٧)، والنسائي (٦٩/٦)، وأحمد (١٦٨/٢) وغيرهم من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً.

فالمسلم الذي يريد الفلاح في دنياه وآخرته عليه أن يكون ذا همة عالية في عمل الصالحات والإيمان بالله مع الإخلاص له سبحانه في كل قول وعمل، والجزاء على ذلك وفير كبير، وهو تمكين الله لدينه في الأرض، والاستخلاف له في الأرض، والعزة والكرامة في دنياه وأخراه، وتبديله بالأمن مكان الخوف كما قال جل شأنه: **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ، وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ، لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾** [النور: ٥٥-٥٧]. فحقيق بكل ذي همَّة عالية في السعي إلى الفلاح، والسعادة في الدنيا والآخرة أن يخلص في كل أقواله وأعماله لله رب العالمين، وأن يتعلق قلبه به سبحانه فإن ذلك أنجح لمطلبه.

وليعلم صاحب الهمة العالية أنه سيواجه عقبات وملمات في سعيه الحثيث لتحقيق مأربه للحصول على السعادة في الدارين الدنيا والآخرة، فحقيق به أن يكون ذا همة عالية في التغلب على هذه المشاكل والعقبات، فالشجر العالي المثمر فقط هو الذي يُرْمَى بالحجارة، أمَّا الشجر غير المُثمر فلا يلتفت إليه أحد، ولله دَرُّ القائل:

إن الرياح إذا اشتدت عواصفها ... فليس ترمي سوى العالي من الشجر

وعلى صاحب الهمة العالية أن يكون شريف النفس يترفع عن السباب، كما قال الشافعي رحمه الله تعالى:-

إذا سبني نــذلٌ تزايدتُ رفعةً ... وما العيب إلاَّ أنْ أكون مسابه

ولو لم تكــن نفسي عليَّ عزيزةً ... لمكّنتُــها من كــلِّ نذلٍ تحاربه

وعلى صاحب الهمة العالية أن يستهين بمن أساء إليه، فإنه ضربٌ من ضروب الأنفة والعزة، ومن مستحسن الكبر والإعجاب، ومن ذلك أن رجلاً أكثر من سبِّ الأحنف، وهو لا يجيبه، فقال السَّابُّ: والله ما منعه من جوابي إلاَّ هواني عليه، ومثل ذلك قول أحد القادة:

أو كلما طنَّ الذبابُ طردته إنَّ الذباب إذاً عليَّ كريم

وعلى صاحب الهمة العالية للوصول إلى السعادة في الدارين أن يترك أعداءه، وأن يترفع عن سبهم وشتمهم، بل ولا ينشغل بهم، فإن ذلك أنجح له في الوصول إلى مأربه الذي يسعى إليه، ولله دَرُّ القائل:

ولو أن كلَّ كلب ألقمته حجراً لأصبح الصخر مثقالاً بدينار

وذكر الحافظ المزي - رحمه الله تعالى - في كتابه: «تهذيب الكمال» (٢٣/٢٩١) قال: قال أبو بكر بن عفان: سمعت الفُضَيل بن عياض يقول: «لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه».

وحقيق بصاحب الهمة العالية أن يجعل أعداءَهُ سبباً في حصول المعالي من أمور الدين والدنيا، ولله دَرُّ أبي حيان الغرناطي:

عداي لهم فضلٌ عليَّ ومنَّة فلا أَذْهَب الرحمنُ عني الأعاديا
هُم عَرَّفوني زَلَّتي فاجتنبتُها وهم نافسوني فاكتسبتُ المعاليا

وليجعل صاحب الهمة العالية نصب عينيه قول القائل:

فإن يخلق لي الأعداءُ عيباً فقول العائبين هو المعيبُ

وقول القائل رحمه الله:-

إذا رضيت عني كرامُ عشيرتي فلا زال غضباناً عليَّ لئامُها

فإذا صبر صاحب الهمة العالية، واحتمل الأذى، فإنه لن يضيره كيد أعدائه وحاسديه،ولن يثنوه عن الوصول إلى مأربه عن تحقيق السعادة لذاته في الدارين الدنيا والآخرة، فلا جرم أن يبور كيد أعدائه، ولله دَرُّ القائل:

كنـــاطِح صَخْرةٍ يوماً ليُوهنـــها   فلم يُضرّها وأَوْهَى قَرنَهُ الوَعْلُ

وعلى صاحب الهمة العالية ألاّ ييأس في السعي لتحقيق مأربه في الحصول على السعادة في الدارين الدنيا والآخرة، وأن يتحلى بالصبر دوماً، وأن يستعين على ذلك بالعمل الدائب الدائم في السَّحر، والبكور، والرواح.

قال أبو الفرج بن هندو:

لا يُؤيسنَّك من مـــجد تُباعدُهُ   فإنَّ للمجـــد تدريجـــاً وترتيباً
إن القنــــاة التي شاهدتَ رِفْعتها   تسمـــو فتنبُتُ أنبـــوباً فأنبوباً

وقال أبو يعلي الموصلي رحمه الله تعالى:

اصبر على مضض الإدْلاج بالسَّحر   وبالرواح على الحاجات والبُكُر
لا تعجزنَّ ولا يُضجرك مطلبها   فالنُّجْحُ يَتْلَفُ بين العجز والضَّجر
إني رأيتُ وفي الأيـــام تجـــربةٌ   للصبر عاقبـــة محمـــود الأثر
وقلَّ من جدَّ في أمـــر يطـــالبُهُ   واستصحب الصَّبر إلا فاز بالظَّفَر

١٩- ترك الأماني والإقبال على العمل الجاد:

لا ريب أن كلَّ طالب للنجاح في عمله دنيوياً كان أو أخروياً لابد أن يعمل له حتى يحقق هذا النجاح، بل ولابد أن يُحسن هذا العمل ويجوده حتى يظفر بالنجاح الذي يريد، أمَّا أن يعلق نجاحه على الأماني والأوهام الكاذبة، فإن ذلك لا يقوده إلاَّ إلى الخيبة، ولذا فقد قال القائل:

أمجد بلا سعي ؟! لقد كذبتكمو   نفوسٌ ثنـــاها الذُّلُّ أن تترفعـــا

وقال البحتري:-

يَغْشَى عن المجد الغبيُّ ولن ترى   في سُـؤددٍ أَرَباً لغـير أريـب

ولقد سخر العلماء ممن لا يستخدم أسباب المجد، فقال أحدهم:-

لا تَطْلُبِ المجـد إن المَجْدَ سُلَّمُهُ   صعبٌ وعش مستريحاً ناعِمَ البالِ

وقال أبو العلاء المعري:

أَتَظُـنُّ أَنَّكَ للمعـالي كاسبٌ   وخَبِيُّ أَمِـركَ شِـرَّةٌ وشَنَـارُ

والشرَّةُ: هي الشر والحِدَّةُ والحرص، والشّنارُ: أقبح العيب.

فمن لم يستخدم الأسباب المشروعة التي شرعها الله لعباده، فإنه لا يمكن بل محال أن يحصل على النجاح الذي يريد في عمله، لذا فقد عاب العلماء من لم يترك الخمول والكسل، والإهمال، ويباشر أسباب السيادة والنجاح، فقال أحدهم:

خمـولاً وإهمـالاً وغيرُك مُولَعٌ   بتثبيت أسبـاب السيادة والمجد

ولذا فقد تفاوت الرجال في المجد بحسب أخذهم بهذه الأسباب التي شرعها المولى عز وجل، ولله دَرُّ القائل:

ولم أر أمثـال الرجـال تفاوتاً   لدى المجد حتى عُدَّ ألف بواحد

فمن جعل الأماني مطيته، ولم يباشر الأسباب المشروعة التي شرعها الله عز وجل لم يزل في ضعفه مسجوناً مقيداً، لذا فقد قال القائل:-

من كان مرعى عزمه وهـمومه   روضُ الأمـاني لم يزل مهزولاً

وقد نعى الله عز وجل على أهل الأماني الذين أدخلهم الله النار، فقال جل شأنه: **﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ**

قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ، يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٣-١٤].

فأصحاب الأماني الذين اغتروا بها، و لم يباشروا أسبابها في النار، والأماني يلقيها الشيطان إلى الناس، فيزين لهم ترك التوبة، ويعدهم بالأماني، ويأمرهم بالتسويف، وأَغَرَّهم من أنفسهم كما قال تعالى على لسان الشيطان: **﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُّبِيناً﴾** [النساء: ١١٩]، فمن أراد السعادة، فلا تغرُّهُ الأمانيُّ، وليباشر أسباب النجاح، وليعمل العمل الجاد الذي يرضي به الله عز وجل، فيسعد به في دنياه وأخراه.

٢٠- عدم الانكباب على الشهوات والملذات:

الإسراف والتبذير في شهوتي البطن والفرج يورث الأمراض والذل والهوان، وقد أوصى النبي ﷺ بالاعتدال والتوسط كما في الحديث عن أبي كريمة المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما ملأ آدميٌّ وعاءً شرًّا من بطن، بحسب ابن آدم، أُكلاتٌ يقمن صُلْبَهُ، فإن كان لا محالة، فَثُلُثٌ لطعامه، وثُلُثٌ لشرابه، وثُلُثٌ لنفسه**»[1].

وأمر الله تعالى بعدم الإسراف في الأكل والشرب، فقال جل شأنه: **﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾** [الأعراف:٣١]. فأهل الإسراف هم إخوان الشياطين كما قال تعالى: **﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُوراً﴾** [الإسراء: ٢٧].

---

(١) رواه الترمذي وقال حديث حسن، وأُكُلاتٌ: أي لقم.

فالتوسط والاعتدال دأب أهل الإيمان السعداء، أما المسرفون فهم الأشقياء الذين يشقيهم الله في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب النار، كما قال جل شأنه: **﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾** [غافر: ٤٣].

فالمسرف لا يحبه الله كما قال تعالى: **﴿وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾** [الأنعام: ١٤١].

وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الدَّاراني قال: قرئ على أبي سليمان الدَّاراني سورة **﴿هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ﴾** فلما بلغ القارئ إلى قوله تعالى: **﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً﴾** قال: بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا ثم أنشد يقول:

كم قتيــل لشهــوة وأسيــر ... أفٍّ من مشتهى خلاف الجميل
شهوات الإنســان تورثه الذل ... وتلقيــه في البــلاء الطــويل

فمن اتبع الشهوات ذَمَّهُ الله، وذمَّهُ الناس كما قال القائل:

وإنك مهــما تُعْطِ بطنَك سُؤْلَهُ ... وفرجَكَ نالا مُنتَهَى الذَّمِ أَجْمَعَا

فأهل الإيمان هم السعداء ؛ لأنهم اتبعوا منهج ربهم في مأكلهم، ومشربهم، وسائر ملذاتهم، ولا جرم أن من أسرف فيها يشقى بالأمراض كما أثبتت التجارب، والمستشفيات والمصحّات تزخر بالمرض ممن أسرفوا في شهوات بطونهم و فروجهم، ويعرف ذلك كلٌّ طبيب حاذق نسأل الله العافية.

❁ ❁ ❁ ❁

الخـاتمة

نسأل الله حُسنها بكرمه، ومَنّه، وسعة فضله

أناط الله عز وجل السعادة باتباع المنهج الذي وضعه في كتابه الكريم، وبيَّنه نبيه ﷺ في السنة المشرفة، فالسعيد من وفق لاتباع منهج الله، فاتبع أوامره وأوامر رسوله ﷺ، والشقي التعيس الذي خالف منهج الله، وشاقَّ الله تعالى ورسوله ﷺ، قال جل شأنه: ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى، وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى، قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً، قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ اليَوْمَ تُنسَى﴾ [طه: ١٢٣: ١٢٦].

فالثواب الكبير والأجر الكثير لكل من اتّبع هدى الله تعالى، فلا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، أمَّا من خالف أمر الله، وما أنزله على رسوله ﷺ وأعرض عنه، وتناساه، وأخذ من غير الهدى الذي أنزله، فإن له المعيشة الضنك في الدنيا، فلا طمأنينة له، ولا انشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله، وإن تنعم ظاهره، ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه ما لم يخلص إلى اليقين والهدى، فهو في قلق وحيرة وشك، فلا يزال في ريبة يتردد، فهذا من ضنك المعيشة والشقاء جزاءً وفاقاً؛ لإعراضهم عن الحق، وقد كانوا في سعة من الدنيا متكبرين، وكانوا يرون أن الله ليس مخلفاً لهم معايشهم من سوء ظنهم بالله، فلا جرم أن تشتد عليهم معيشتهم الضنك، ويوم القيامة يحشرون إلى النار عُمْي الأبصار والبصائر كما قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى وَجُوهِهِمْ عُمْياً وَبُكْماً وَصُماً مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ [الإسراء: ٩٧]، فكما كانوا في الدنيا عمياً لا يبصرون، وبكماً لا ينطقون، وصماً لا يسمعون، فإن منقلبهم ومصيرهم إلى جهنم

كلما سكنت وطفئت زادهم لهباً ووهجاً وجمراً كما قال تعالى: ﴿**ذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَاباً**﴾ [النبأ: ٣٠].

فلما أعرضوا عن آيات الله، وعاملوها معاملة من لم يذكرها بعد بلاغها إليهم وتناسوها وأعرضوا عنها، وأغفلوها، فإن الله ينساهم قال جل شأنه: ﴿**فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا**﴾ [الأعراف: ٥١]، فالجزاء من جنس العمل.

اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله، الذي لم يلد و لم يولد، و لم يكن له كفواً أحد أن تأخذ بأيدينا ونواصينا للعمل بكتابك وسنة نبيك ﷺ، وأن ترزقنا السير على منهجك، وأن ترزقنا السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة بكرمك ومنّك، وسعة فضلك؛ إنك أنت السميع المجيب الكريم الجواد، وصلِّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم صلاة وتسليماً عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك كل لحظة إلى يوم الدين.

وكتبه

أبو يَعْلَى محمد أيمن بن عبد الله الشَّبراوي

في يوم الجمعة ١٢ جماد آخر ١٤٢٢ هـ

الموافق ٣١ أغسطس ٢٠٠١

قويسنا – مصر

الفهـرس

مطابع الصقر
ت:٠١٥/٤١٢٥٥٥٠ تلفاكس:٠١٥/٤١٢٧٧٧
موبايل:٠١٠/١٩٧٠٣٤٠